

الدكتور رشيد الناصوري
M. A., PH. D. (شيكاغو)

دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم
وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والأقليم السوري والهضبة الإيرانية
ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الأولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية

نوفمبر ١٩٥٨

اهداءات ٢٠٠٠
ادرسيد سالم الناضورى
اسناد التاريخ القديم
جامعة الاسكندرية

الدكتور رشيد الناصري
M. A., PH. D. (شيكاغو)

دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم
وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والأقليم السوري والهضبة الإيرانية
ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الأولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية

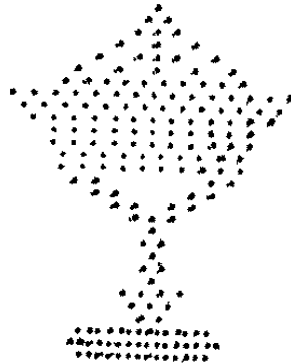
نوفمبر ١٩٥٨

موضوعات الخسب

تقديم مسام

- ١- دراسة حضارات عصور ما قبل التاريخ ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الأولى حتى بداية العصر التاريخي في كل من مصر وبلاد الرافدين والاقليم السوري وايران *
- ٢- بعض الظواهر المميزة لمرحلة الانتقال من عصور ما قبل الاحرل الى العصر التاريخي فمصر كل من مصر والسراق القديم والاقليم السوري وايران *
- ٣- الشرق الادنى القديم في الالف الثالث ق م * وخاصة في بلاد الرافدين *
- ٤- الشرق الادنى القديم في الالف الثاني ق م * وخاصة في بلاد الرافدين *
- ٥- الشرق الادنى القديم في الالف الاول ق م * وخاصة في بلاد الرافدين *
- ٦- دراسة لمعالم تاريخ الاقليم السوري من النواحي الاقتصادية والبشرية والسياسية *

خاتمة



بسم الله الرحمن الرحيم

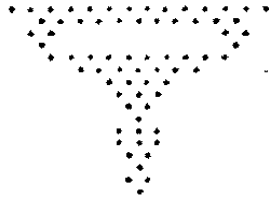
تقديم عام

تتجه الدراسات الحديثة في علم الآثار والأنثروبولوجيا والتاريخ القديم الى زيادة الاهتمام بمنطقة الشرق الأدنى القديم ولى المنطقة التى تمتد من نهر السند شرقا الى بحر ايجه غربا ومن جبال القوقاز شمالا الى السودان جنوبا ، وذلك على أساس اعتبار هذه المنطقة من أولى المناطق فى العالم التى كان لها دورها الهام فى تقديم عدد أساسى من نواحي الإنتاج العقلى والمادى بصورة متقدمة أضادت الى التطورات التى مر بها الانسان مما مهد الى الانتقال الى العصر الكلاسيكى وبالتالى الى العصر الوسطى فالعصر الحديث . وقد قام العلماء بدراسة هذه النواحي التى ساعدت فى هذا التطور وقد استقر الرأى بينهم الآن على أن الشرق الأدنى القديم هو المنطقة الواجب تتبع المراحل الأولى لتطور الانسان فيها ولذا اتبعت أبحاثهم المقارنة الى هذه المنطقة محاولين التعرف على الأصول الأولى للتفكير الانسانى وتطوره فيها . هذا وقد اعترف العلماء بأسبقية هذه المنطقة على حضارات الشرق الاقصى والأمريكيتين وكذا اليونان والرومان فى مجال التطور الحضارى . وقد بدأ العلماء بأرسال البعثات الأثرية للتحقيق عن هذه الأصول الأولى للمدنية . وفى بداية الأمر كان الاتجاه الى اعتبار كل جزء من هذه المنطقة مستقلا تقريبا عن الآخر من النواحي الحضارية ، ولكن البحث والدراسة دلت على اتصال أجزاء هذه المنطقة اتصالا قويا فى عصورها المختلفة وفى النواحي السياسية والحضارية والاقتصادية . ولذلك اتجهت الدراسة الحديثة الى عمل نوع من الدراسة المقارنة لنتائج الأبحاث التى يخرج بها العلماء بعد دراسة كل جزء من منطقة الشرق الأدنى القديم . وليس معنى هذه الدراسة المقارنة الإقلال بأهمية حال من الأحوال من الجانب المحلى الخاص بكل جزء من هذه المنطقة ، ولكن هذه الدراسة المقارنة تقوم على تتبع الصلات بين مختلف أجزاء هذه المنطقة ومدى قوة وضعف هذه الصلات . ويلاحظ الدارسون فى تاريخ مصر الفرعونية على سبيل المثال أنه على الرغم من احتفاظ هذه المدنية المصرية بالمعالم المصرية الخالصة إلا أنها قد مرت فى بعض عصورها بفترات زاد فيها الاتصال بيننا وبين دول غرب آسيا . ويمكن القول أيضا أنه فيما يتعلق بتاريخ سوريا وفلسطين أن هذا التاريخ مرتبط بكل الارتباط بتاريخ القوى المحيطة به وهذه المنطقة كمصر ودولة حاتى فى الأناضول وكذلك بطبيعة الحال دول البابليين والآشوريين والكلدانيين والفرسيين بالحقيقة أن أجزاء هذه المنطقة متصل بعضها ببعض الأخرى كائنة النواحي الجغرافية والاقتصادية والتاريخية فى العصور القديمة والوسطى والحديثة والمعاصرة .

ومناء على ذلك اتجه ذى الكاتب الى تقديم نوع من هذه الدراسات المقارنة من ناحية الحضارة القديمة (ميثوبوليتا) من ناحية أخرى ، وأيضا الإقليم

(ب)

السوري والمهضبة الايرانية . ويتجه المؤرخون الآن في دراسة التاريخ القديم بوجه عام الى مراكز هذه الدراسة في مناطق الشرق الادنى والشرق الاقصى والامريكتين وأوروبا . وقد وصلت نتائج هذه الدراسات الى الاعتراف بأولوية منطقة الشرق الأدنى القديم على جميع مناطق العالم في القفز بالعالم الانساني الى مراحل التطور والتقدم الحضاري ابتداءً من عصر انتاج الطعام (العصر الحجري الحديث) وذلك حوالي الألف السادس ق.م . هـ ونظرا لكثرة الموضوعات التاريخية والاثريّة والحضارية المتصلة بدول الشرق الأدنى القديم يقتصر الكاتب على بعض الموضوعات الأساسية ذات الصلة السياسية من ناحية والطابع الحضاري والاثري من ناحية أخرى . ويبدأ الكاتب هذه الموضوعات بموضوع دراسة عصور حضارات ما قبل ، وقبل الاسرات عيسى كل من مصر وميزوپوتاميا ويتضمن ذلك دراسة الاصول الاولى في الانتقال بالمجتمع الانساني الى مرحلة الزراعة والتصنيع هـ وأيضا تتبع أسباب ونتائج توصله في كل من مصر والمراق القديم والاقليم السوري والمهضبة الايرانية الى هذه النتيجة .



دراسة عصور حضارات ما قبل التاريخ وما قبل
وقبل (١) الاسرات في كل من مصر وميزوبوتاميا (٢)

بعض حقائق أساسية في هذا الموضوع :

يتجه العلماء الى تقدير عمر الانسان بحوالى نصف مليون سنة على الاقل (٣) ، وعلى ذلك يمكن القول بأن أكثر من ٨٩٩ من حياة الانسان هي حياته في عصور ما قبل التاريخ (٤) . ولم يترك الانسان في عصور ما قبل التاريخ أى أثر كتابي يعبر فيه عن حياته يختلف مظاهرها بسبب ترك أدلة أثرية تدل على مدى تطور تقاليده الصناعية وطرق معيشته في ذلك الوقت . ويقسم بالبحث في عصور ما قبل التاريخ البيولوجيون والانثروبولوجيون والاثريون وكذلك علماء الجيولوجيا والنبات القديم وغيرهم . ويتجه بحث العلماء في تتبع حياة الانسان في مختلف نواحيها في هذه العصور تبعا علميا ، الى دراسة البقايا الأثرية التي تركها الانسان في مختلف جيات العالم .

ويقوم العلماء بدراسة الدليقات المختلفة Layers في التلال والأكسوام والكهوف التي يسكنها الانسان . وقد تكونت طبقات هذه التلال ككتيبة طبيعية لسكنى الانسان في منطقة ما ثم هجرته منها ، ربما لأسباب اقتصادية أو بيئية أو سياسية ثم سكنى مجموعة بشرية أخرى لنفس هذا المكان بعد ذلك ثم تركها له وبنى مجموعة بشرية ثالثة مما أدى إلى تكون

(١) يتضمن عصر ما قبل الاسرات Protodynastic الفترة الواقعة قرب نهاية عصور ما قبل الاسرات (عصر حضارة جزره الأخير في مصر) وعصر الاسرتين الأولى والثانية في مصر الفرعونية .

(٢) يقم بحث العلماء الآن في كافة المعاهد العلمية الى عمل دراسات مقارنة لمختلف الحضارات والمدنيات محاولين الوصول بهذه الدراسات الى معرفة الاصول الأولى Origins لتطور مختلف نواحي الانتاج المادى والمعنوى للانسان في حضارات العالم وخاصة في مناطق الشرقين الأدنى والاقصى وكذلك في حضارات المينود الحمر في الأمريكتين . وعلى الرغم من تعمق العلماء في هذه الدراسات المقارنة في عصور حضارات ما قبل الاسرات فإن النتائج التي وصلت اليها هذه الدراسات لاتزال مجال البحث وفي حاجة الى تدعيم أقوى بالأدلة الأثرية القاطعة وخاصة في موضوع الاصول الأولى لهذه الحضارات وكذلك في موضوع مدى قوة التأثير الحضارى بين مختلف مراكز تلك الحضارات . وقد تمركز الكاتب الى بعض المشاكل المتصلة بهذا الموضوع في هذا الفصل .

(٣) R. J. Braidwood, Prehistoric Men (Chicago, 1948), P. 7.

وقد مر الانسان بمراحل التطور في عصر البليستوسين أو عصر المجمعات الجليدية وأقرب حوالى منتصف هذا العصر الذي يرحبه العلماء الى حوالى مليون سنة أقرب من مرحلة الانسان العاقل

i. Jacobs and E. J. Stern, Outline of Anthropology (New York, 1947), P. 16.

R. Turner, The Great Cultural Traditions (New York & London, 1941), Vol. 1, P. 10.

Braidwood, op. cit. (٤)

هذا على أساس أن العصر التاريخي قد بدأ في منطقة الشرق الأدنى القديم بتوصل كل من

طبقات تمثل آثار سكنى راقامة هذه المجموعات البشرية على التوالي . وتجمع هذه الآثار بعضها فوق بعض أدى الى تكوين التل أو الكم (١) .

ويقوم العلماء ببحث الأدلة الأثرية المختلفة التي يحضر عليها الآخرون في هذه الطبقات في مختلف المواقع الأثرية . ويتطلب بحث هذه الأدلة دراسة الموضع والمكان الذي وجد فيه هذا الأثر . ويحاول الأثرى أن يستدل من هذه الدراسة على حياة الإنسان الذي صنع هذا الأثر من حيث كونه كان قاطنا في هذا المكان سواء أكان ذلك المكان قرية أو كنفسا أو غير ذلك . ويؤخذ في الاعتبار في هذه الدراسة احتمال عدم مناعة هذه الآثار في نفس هذا المكان (محليا) فبذلك احتمال استيرادها من الخارج . كما أن دراسة العلاقة بين الآثار بعضها ببعض في نفس المكان تساعد الباحث على التعرف بصورة أوضح على حياة هذا الإنسان . ومن السرائر المهمة في دراسة هذه الأدلة الأثرية محاولة التوصل الى معرفة التقدير الزمني النسبي Relative Chronology أي الوقت الذي صنفت واستخدمت فيه هذه الآثار . ويمكن التوصل الى ذلك بواسطة عدة طرق علمية . وتبدر الإشارة هنا الى صعوبة البحث في المسائل التقويمية وخاصة في عصور ما قبل التاريخ . والطريقة المتبعة هي طريقة تقويم الآثار بالعقارة على أساس تطورها . حيث النوع والصناعة سلسلة من الأقدم الى الأحدث . وقد اتبع الأستاذ فر. پترى Fr. Petrie الطريقة المعروفة باسم طريقة التوقيت المتتابع Sequence dating في تأريخ عصور حضارات ما قبل الأسرات في مصر . وهناك من الطرق الحديثة التي يحاول بها العلماء استخداما في التعرف على تقديري زمن بعض الآثار طريقة كربون ١٤ Carbon 14 وتتلخص هذه

تابع ما قبله رقم (٤) :

المصريين والسومريين الى تسجيل حوادثهم التاريخية حوالي ٣٠٠٠ ق.م . ولا يزال التحد يسد الزمنى لبداية العصر التاريخي بصورة نهائية في كل من مصر وميزوبوتاميا . أما البحث . وقد اصطلح على أن توصل الانسان الى مرحلة التعبير الكتابية هي إحدى مسائل التعرف . على أن حضارة هذا الانسان قد دخلت في نطاق العصر التاريخي . ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن عدم توصل بعض الحضارات الى مرحلة الكتابة أو في الحقيقة تأخرها نسبيا في التوصل الى الكتابة ليس معناه عدم وصول هذه الحضارات الى مرحلة المدنية بل يمكن اعتبارها قد وصلت الى هذه المرحلة على أساس تكوين مجتمعا من إنتاج الطعام ومن انشاء القرى المستقرة وما تتضمنه هذه المرحلة الأخيرة من نواحي الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي المحيتر من الأسس الأولى لتوصل المجتمع الى مرحلة المدنية .

(١) وهناك عدة تسميات للتل في اللغة الانجليزية منها كلمة كيم Kom ، وكلمة تبة

Huyuk وكلمة Tepe
R.F. Braidwood, "A synoptic Description of the Earliest Village - Culture Materials from the Negean to the Idus," in *Human Origins, and Introductory General Course in Anthropology*, 2nd, Ed. 1936, 183, n. 2.

الطريقة في تقدير كمية الكربون المتخلف في بعض المواد العضوية بعد تحليلها بمرور الزمن ، ويساعد قياس هذه الكمية على تقدير الكمية الاصلية في هذه المواد العضوية . وبالتالي يمكن تقدير عمر الآثار المحتوية على هذه المواد العضوية (١) .

ويجدر بالباحث عند دراسة الادلة الاثرية ملاحظة الكميات المختلفة التي يعثر عليها فيما يتعلق بنوع معين من هذه الآثار . هذا مع العلم باحتمال ملاحظة أهمية الكمية في بعض الحالات ، وعدم أهميتها في حالات أخرى .

وتقسم الآثار اما حسب المادة المصنوعة منها أو حسب فن وتطور صناعتها Technique أو حسب طرق استعمالها أو حسب أشكالها والرسومات والزخارف التي تتحلل بها . ويلاحظ العلماء مختلف التقاليد الصناعية المثبتة في صناعات الاواني الفخارية والحجرية والادوات المظمية والخشبية والمعدنية في مختلف المواقع ، مما يساعد على التفسير الصحيح لوظائف هذه الادلة الاثرية وبالتالي التصرف على المستوى المادى والفكرى الذى وصل اليه الانسان صانع هذه الآثار (٢) . ومن دراسة مختلف الادلة الاثرية يمكن معرفة تطور النشاط الانسانى في الطبقة الحضرية أو في الموقع الذى وجدت فيه هذه الآثار ، وذلك لان المجموعة التي تتكون من هذه الادلة الاثرية تبين مختلف نواحي هذا التطور .

ودراسة المجموعات الاثرية دراسة مقارنة تصل بالباحث الى معرفة الدور الحضارى الذى قام به الانسان في مختلف هذه المواقع الاثرية ويحسن الاشارة هنا الى ماهية الحضارة Culture والفروق بينها وبين المدنية Civilization . وقد اختلف العلماء في تعريف الحضارة كل على حسب وجهة نظره التاريخية أو الاجتماعية أو الانثروبولوجية (٣) .

ويمكن تلخيص مدلول الحضارة بوجه عام بأنها تمثل مجموعة النشاط الانسانى المادى والفكرى في مجتمع ما . وقد سجل الاستاذ ردفيلد Prof. R. Redfield استاذ

(١) W.F. Libby, Radiocarbon Dating, (Chicago, 1952).

(٢) R. J. Braidwood, "Terminology in Prehistory," in Human Origins" an Introductory General Course in Anthropology 2nd ed, 1946 PP. 127 - 144.

(٣) وتختص الدراسة الانثروبولوجية بتتبع مبرهنات تطور حياة الانسان وسلوكه ومجتمعاته من النواحي الطبيعية والاجتماعية ، والثقافية منذ ظهوره على الارض .

الانثروبولوجيا الثقافية بجامعة شيكاغو ثم عرف الحضارة بالقول بأنها مجموعة منظمة من طرق وتقاليد الحياة التي تعود الناس على تفهمها .^(١) فالحضارة إذا عبارة عن مجموعة التقاليد والمعادن التي تعود الانسان في مجتمع ما على استخدامها سواء أكانت هذه المعادلات والتقاليد متصلة بانتاجه الصناعى والزراعى أو بانتاجه الفكرى . ويلاحظ أنه بينما تنتهى حياة الانسان فان الحضارة تستمر على مدى الايام ومن أهم مميزات الانسان قدرته على صنع الحضارة^(٢) أى على تكوين تقاليد مهيمنة فى مختلف مظاهر حياته ، وهذه إحدى مزاياه الانسانية .

فالحضارة هى نتيجة مباشرة لمجهودات الانسان وسلوكه وتفكيره . وترتبط مرحلة تكوينها بمدى تطور تجاريه من طفولته الى نضجه بالإضافة الى وراثته لتجارب من سبقه . ويلاحظ المؤرخ وجود نوع من التفاعل فى المجتمع بين الحضارات ذات التقاليد المتوارثة وبين الحضارات ذات التقاليد الجديدة فى المجتمع . ولكن مهما كانت نتيجة هذا التفاعل بين الحضارات فان سلوك الانسان ليستمد لحد كبير على العادات والنظم والتقاليد المتوارثة ، وربما كان ذلك من العوامل الدالة على وجود نوع من التشابه النسبى بين بعض الحضارات .

وتسير الحضارات فى مجال التطور المادى والفكرى الى أن تصل الى مرحلة متقدمة سواء أكان ذلك فى مجال التطور الزراعى والصناعى والعلمى أو فى مجال التوصل الى مرحلة الكتابة ، وهذه المرحلة المتقدمة هى مرحلة المدنية^(٣) .

ومن خصائص هذه المرحلة توصل المجتمع الى المقدرة الانتاجية الكاملة للطعام أى توصله الى المجتمع الزراعى المستقر وإلى انشاء القرى والمدن ، وإيجاد النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية المناسبة لحياة الانسان فى هذا المجتمع الحدمد ، وأيضاً توصله

R. J. Braidwood, Prehistoric men (Chicago 1946) P.33 (١)

R. Redfield, "The Folk Society" The American Journal of Sociology, vol. LII. no. 4, January, 1947, P. 893. (٢)

Turner op. cit., P. 16 (٣)

الى التمييز بكافة الوسائل الفنية والادبية عن مختلف نواحي نشاطه (١). والحقيقة —
التي يحملها العلماء كنتيجة لدراساتهم المقارنة هي توصل بعض مجتمعات منطقة —
الشرق الأدنى القديم وخاصة في مصر وميزوبوتاميا الى مرحلة انتاج الطعام وأيضا مرحلة —
المدنية قبل أي مجتمع آخر في جميع مناطق العالم (٢).

دور الشرق الأدنى القديم في عصور حضارات ما قبل التاريخ :

وصل البحث الاثري والانثروبولوجي في السنوات الاخيرة الى الحقيقة الواضحة أن بسوء —
ظهور المدنية قد تركز في العالم القديم في منطقة الشرق الأدنى القديم . أما عن وضوح —
الامريكتين فقد كان لهما بدايتهما المستقلة في الوصول الى مرحلة المدنية . وكان السراي —
الثقيلدي بين العلماء هو أن آسيا وبصفة خاصة منطقة غربي آسيا هي المكان الذي تحول فيه —
تاريخ الانسان الى مرحلة المدنية . ويتجه بعض الاثريين الى اعطاء ميزوبوتاميا الاولوية —
في منطقة الشرق الأدنى القديم في التوصل الى مرحلة المدنية ، وذلك على أساس وجود بعض —
الدلة الاثرية التي تساعد على احتمال اعتماد المدنية الحارابية : Harabban في وادي —
السند عليها أيضا (٣). ويميل بعض العلماء الى القول بأنه حتى في حالة احتمال العثور على —
مركز مستقل تبين آثاره مرحلة بداية المدنية في منطقة جنوب شرقي آسيا فان الشرق الادنى —
القديم وخاصة ميزوبوتاميا ومصر يحتفظان بأولويتهم (٤) في التوصل الى مرحلة المدنية —
قبل أي منطقة أخرى في العالم . ويمكن القول بأن مرحلة التوصل الى المدنية في الشرق —
الاقصى في وادي الفلير الاصفر حدثت في حوالي سنة ١٥٠٠ ق م . على الاقل . كما أن —
المراكز الحضارية في الأمريكتين كانت في طريقها الى مرحلة المدنية في حوالي سنة ٥٠٠ ق م . —
هذا مع العلم بأن مرحلة المدنية في ميزوبوتاميا في رأي بعض العلماء قد حدثت في حوالي —
سنة ٣٥٠٠ ق م (٥).

R. J. Braidwood, The Near East and the Foundations for Civilization (Eugene, 1952), P. 2. (١)

Ibid. (٢)

Ibid, P. 2, 3 (٣)

ويتعرض الكاتب الى هذا الموضوع عند مناقشة عصر حضارة حمير الاخير في مصر وكذلك عصر —
حضارة جمدة نصر في العراق القديم . ويرى الكاتب أن هذا الموضوع لا يزال مجال البحث —
بين العلماء ويتوقف على نتائج الحفائر في كل من مصر وميزوبوتاميا في المستقبل .

Ibid. , P. 3 (٤)

Ibid. (٥)

أما عن كيفية وأسباب توصل الشرق الأدنى القديم الى هذه الاولوية الخطيرة في الانتقال بحياة الانسان الى مرحلة المدنية ، وكذلك في تقديمه الادلة الاثرية القاطعة في توصله الى مرحلة عالية من الانتاج المادى والفكرى في هذا الوقت المبكر في تطور حياة الانسان قرب ابتداء العصر التاريخي فيمكن تلخيصها فيما يلى :

يمكن تقسيم حياة الانسان من ناحية تطوره الحضارى وخاصة في المجال الصناعى والاقتصادى الى المراحل الآتية :-

(أ) مرحلة جمع الطعام وهى المرحلة التى بدأت منذ حوالى ٥٠٠.٠٠٠ سنة واستمرت الى حوالى ٦٠٠٠ ق م وهى الفترة التى عاش فيها الانسان متنقلا ، فى سبيل البحث عن رزقه ولم يصل طوال هذه الفترة الى مرحلة الاستقرار الا قرب نهايتها . وهى العصر المعروف باسم العصر الحجري القديم (Paleolithic) .

(ب) مرحلة الثورة الصناعية الاولى First Industrial Revolution وهى التى حدثت حوالى ٦٠٠٠ ق م فى منطقة الشرق الأدنى القديم وهى ثورة انتاج الطعام أو بالأحرى التوصل الى مرحلة الزراعة وبداية نشأة القرى أى مرحلة الاستقرار فى المجتمع الانسانى .

(ج) مرحلة انتاج الطعام وهى الفترة التى مهدت الى ظهور عصر المدنية حوالى ٣٢٠٠ ق م وهى مرحلة العصر الحجري الحديث (النيوليتى Neolithic) وعصر استئناس النحاس والحجر (الانيليتى) وعصور ما قبل ، وقبل الاسرات فى الشرق الأدنى القديم . وقد استمرت الى المرحلة من ابتداء الثورة الصناعية الاولى أى حوالى ٦٠٠٠ ق م الى سنة ١٧٧٠ م وهو وقت معرفة البخار والقوى البخارية فى الصناعة .

(د) مرحلة التصنيع Industrialization وهى المرحلة التى بدأت من القرن الثامن عشر الميلادى ولا تزال مستمرة حتى الآن متخذة طابعا جديدا فى العصر الحاضر بمد التحرف على القوة الذرية وأثرها فى الانتاج الصناعى .

وقد قام الشرق الأدنى القديم^(١) كما سبقت الاشارة ، بدور الانتقال من المرحلة

(١) المقصود بالشرق الأدنى القديم المنطقة الممتدة من نهر السند شرقا الى بحر ايجة غربا ومن حدود مضاب القوقاز شمالا الى السودان جنوبا ، وعلى ذلك فتعريف الشرق الأدنى القديم يتضمن فى الواقع ما يسمى فى العصر الحديث بالشرق الاوسط .

الاولى الى المرحلة الثالثة ، أى أن هذه المنطقة من العالم هى صاحبة الفضل الاول فى الثورة الصناعية الاولى . وهذه الحقيقة مدعومة بالادلة الاثرية الثابتة الناتجة من الحفائر المختلفة فى مختلف جهات هذه المنطقة . ومعنى هذه الثورة هى توصل الانسان فى هذه المنطقة الى مرحلة جديدة فى حياته وهى مرحلة الزراعة وانتاج الطعام بما تتضمنه من الاستقرار ونشأة القرى وتخزين المحاصيل الزراعية وتشبيد المراكز التجارية وقيام الصناعات اللازمة لمختلف نواحي التطور الصناعى فى المجتمع الجديد .

ويمكن القول بأن التطور الذى حدث فى حياة الانسان فى ذلك الوقت فى منطقة الشرق الادنى القديم يعتبر من أخطر وأهم فترات التحول والتغيير الكلى فى حياته ، ولعل هذا كانت تسمية تلك الفترة بالثورة الصناعية الاولى أو الانقلاب الصناعى الاول تسمية صحيحة . ولم يقتصر هذا التفوق الحضارى فى هذه المنطقة على نواحي الانتاج المادى كما تدل عليه الادلة الاثرية المختلفة ولكنه امتد الى نواحي الانتاج الفكرى فقد اتصل هذا الانتاج الزراعى بالنواحي الخاصة بالعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الجديد ، وتطور تفكير المجتمع فى المجال الاجتماعى والمهنى والدينى تطوراً كبيراً وصل الى مرحلة التفكير الاعتقلى الذى المنظم فى ابتداء عصر المدنية . وقد ساعد ذلك على التوصل الى مرحلة التعبير بالكتابة (١) فى ابتداء العصر التاريخى .

ويتجلى موضوع توصل الشرق الادنى القديم الى مرحلة انتاج الطعام ، بالنواحي الجغرافية والجوية (٢) والبيئية فى هذه المنطقة منذ حوالى ١٠٠٠٠ سنة . وفى ذلك الوقت

(١) يذهب الأستاذ Thorkild Jacobsen أستاذ اللغة والآداب السومرية الى القول بأن " المحيد كان يمثل الوحدة الاقتصادية فى المدينة السومرية " . ولقد كانت الكتابة من ألزم حاجات المجتمع كتمديد الى عصر المدنية ، حيث يمكن استخدامها فى تنظيم حسابات المعابد والاسواق والانتاج الزراعى . وعلى ذلك يمكن القول بأن اختراع الكتابة ارتبط بالتطورات الاقتصادية والدينية فى هذا المجتمع الجديد .
Thorkild Jacobsen, " The Relative Roles of Technology and Literacy in the Development of old World Civilizations " Lecture Delivered for the Department of Anthropology, university of Chicago, April 1946, Haman Origins. Series 11 P. 245.

(٢) لا يتعمد الكاتب الى تفاصيل التطورات الجوية والجغرافية فى هذه المنطقة بل يصرح اشاراتهما مركزاً كتابته على النواحي الحضارية والاثرية فى عصر انتاج الطعام بصفة خاصة .

كان العصر الجليدي في مرحلة تراجع كامل ، وكان الانسان يعيش في مرحلة تقترب من نهاية عصر جمع الطعام ، وكان يسكن في الكهوف في بعض المناطق ، ولم يصل بعد الى مرحلة الزراعة . ويمكن تتبع آثار انسان الشرق الادنى القديم في ذلك الوقت في الهضاب المحيطة بالمنطقة المحروقة باسم الهلال الخصيب . وكان يسود هذه الهضاب نوع من الحياة النباتية البرية . حيث كان يوجد القمح البري ، وكذلك نوع من الحياة الحيوانية المتوحشة . وكانت هذه الحيوانات تشمل الماشية والكلب والخنزير والماعز ونوع من الحصان الصغير . ويلاحظ علماء الآثار أن هذه الحيوانات التي كانت في حالة متوحشة في ذلك الوقت هي نفسها التي تمكن انسان عصر انتاج الطعام من استئناسها وريطها بحياته الزراعية المستقرة .

ويختلف العلماء في بحث موضوع الانتقال من مرحلة سكنى الانسان للكهوف السسمى مرحلة بنائه للقرى أى مرحلة الاستقرار ، وذلك على أساس الأدلة الأثرية التي عثر عليها في كل من المواقع الأثرية المصرية والفلسطينية والميزوبوتامية . وتعتبر الحضارة الناطوفية Natufian في منطقة جبل الكرمل في فلسطين هي مرحلة سكنى الانسان المكهوف فيسعى ذلك المصر . ويعمل الاستاذ تشيلد Childe الى اعتبار هذه الحضارة مثلية لمرحلة الانتقال من جمع الطعام الى انتاجه (١) . وآثار هذه الحضارة تدل على عدم توصل الانسان الى الصناعات الفخارية او المعدنية بل قد تمكن فقط من صناعة الادوات البوانية والعظمية ، ولكن العثر على بعض المناجل الحجرية Sickles قد أدى بالعلماء الى تفسيرها على أنها تبين توصل الانسان الى مرحلة الزراعة . وذلك على أساس أن هذه الادوات كانت تستخدم في حصد النباتات التي قام الانسان بزراعتها . ولكن هناك احتمال آخر وهو إمكانية استخدام هذه المناجل لحصد القمح البري وليس لحصد المحاصيل النباتية . ومن ناحية أخرى قد توصل انسان هذه الحضارة الناطوفية الى استئناس الكلاب ، وربما كان ذلك لخدمة بعض الاتصال بحراسة الحقول ، ولكن ذلك ليس مؤكدا . ويواجه علماء الآثار في دراسة مرحلة الانتقال هذه ، بعد دراسة آثار "حضارة" البديوية ، آثار القرى المستقرة في كل من مصر وميزوبوتاميا وهذه الآثار الأخيرة تبين مرحلة تطور كبيرة بالمقارنة بآثار الحضارة الناطوفية ولذلك يعتقد أن هناك فجوة حضارية بين مرحلة الحضارة الناطوفية وحضارات القرى المستقرة . ولا يزال

G. Childe, What happened in History (New York; 1946), (١)
P. 41 ff.

العلماء في بحث مستمر من مواقع أثرية ^(١) تسد فراغ هذه الفجوة الحضارية وتبين التطور التفريعي القاطع من مرحلة جمع الطعام الى مرحلة انتاجه في منطقة الشرق الادنى القديم .

وقد حاول المؤرخ الانجليزى الاستاذ ارنولد توينبى ^(٢) A. J. Toynbee تحليل حدوث الثورة الصناعية الاولى أو مرحلة انشاء القرى في مصر الى مبدأ التحدى والاستجابة "Challenge & Response" وتتلخص هذه النظرية في تحدى البيئة وما يتضمنه ذلك من فيضانات نهر النيل السنوية وتمديداتها لحياة الانسان الذى بدأ في الانتقال الى جوانب النهر بعد انتهاء العصر المطير . وقد حاول الانسان أن يجيب على تحدى البيئة بمحاولات التحكم في مياه النهر وذلك من طريق انشاء السدود والجسور والترع والقنوات مما كان له أثره في التصرف الى الزراعة والاستقرار وانشاء القرى على جوانب النهر وجاء ذلك بطبيعة الحال بعد مقايلته لعدد كبير من التجارب المختلفة . وهذه النظرية تحتاج الى تدعيم بالادلة الاثرية كما أنها تواجه الباحث بعدد من الصعاب التى لا يبدد تفسيراً نهائياً لها . ويتساءل بعض العلماء في الدعاى التى أدت الى حدوث التحدى والاستجابة بالنسبة الى الانسان القاطن على جوانب نهر النيل في مصر بالذات ؟ ولماذا لم يحدث في منطقة أعالي النيل ^(٣) ؟ وهل حدث ذلك في بعض الانهار الاخرى ؟ فيضاناتها المختلفة في جبهات أخرى من العالم ؟ وما الدعاى المباشر لاستجابتهم لتحدى البيئة ؟ وهناك احتمال تفسير حدوث الانتقال في منطقة الشرق الادنى القديم الى تفوق أجسام شعوب هذه المنطقة غيرها من مناطق العالم . ولكن نظرية التفوق الجنس هذه قد كذبها الدراسات الانثروبولوجية الحديثة . فقد وصل الانثروبولوجيون الى الحقيقة القائلة بعدم وجود ارتباط بين الجنس أو العنصر البشرى وبين التفوق في عملية بناء حضارة أو مدنية ما ^(٤) ، ويمكن

-
- (١) يتجه الاستاذ بريدود R. Braidwood الى اعتبار موقع كريم شاهير Karim - Shahir وكذلك جارمو Jarmo وهما في شمال شرق العراق مهد حضارة كردستان ، يمثلان التطور من مرحلة سكنى الكهوف (العضارة الناطوفية) الى مرحلة انشاء القرى . ويمثل موقع جارمو قرية مستقرة بينما لا يمثل موقع كريم شاهير مرحلة القرى المستقرة بل مرحلة تطور تالية لمرحلة سكنى الكهوف .
ويبنى العلماء نتائجهم في توصل هذا المجتمع اذاك الى المراحل الحضارية المختلفة على أساس دراسة الآثار - الأبنية - الأواني - الأثاث - الأدوات - الأسلحة - الإنسان نفسه مختلف نواحي النشاط الانساني الصناعي والزراعي والفكري .
- (٢) A. J. Toynbee, A study of History (New York & London, 1947). PP. 68 - 73.
- (٣) J. A Wilson, The Burden of Egypt (Chicago, 1951). P. 32.
- (٤) I bid.
- R. J. Braidwood, W. J. Krogman and S. Tax, Time space, and Man (Chicago 1946) Sheet 1.

القول بأن توصل الشرق الأدنى القديم الى مرحلة انتاج الطعام هذه جاء نتيجة تطور طبيعى فى الصناعات المختلفة التى تمكن انسان هذه المنطقة من انتاجها فى مرحلة انتاج الطعام. وربما كان عاملاً انتظام البيئة بالنسبة لمصر مساعداً فى ذلك . فالنيل يغمر فى وقت معين وبصورة منتظمة كل عام ولا شك أن الانسان بدأ فى ملاحظة ذلك عندما قطن بجوار هذا النهر كسما لاحظ أيضاً شروق الشمس أى ولادتها وغروبها أى موتها بصورة واضحة فى البيئة المصرية . وكذلك لاحظ ظهور واختفاء بعض الجزر الصغيرة الموجودة فى مجرى نهر النيل وذلك أثناء ارتفاع مياه الفيضان وانحسارها بعد انتبائه (١) . وكذلك ما يترتب على مجئ الفيضان من القذف بكيات من الخرين مما يساعد فى ظهور بعض النباتات أى مظاهر من الحياة الزراعية التى لا شك أنها استمرت انتباهه مما أدى الى تعرضه على عدد من التجارب المختلفة المرتبطة بهذه البيئة ذات النشاط المنتظم . ولا شك أن ذلك مهد الى توصله التدريجى الى مرحلة انتاج الطعام . وربما حدث ما يشبه ذلك مع اختلاف فى الاوضاع البيئية فى منطقة ميثوبوتاميا . وتجدر الإشارة هنا الى أن الثورة الصناعية الاولى قد استغرقت حوالى الالف عام (٢) حتى تمكن الانسان مسن الانتقال الفعلى الى مرحلة الزراعة والاستقرار . وهذه الفترة قد أمضاها الانسان فى التمرف على عدد من التجارب المختلفة التى ساعدته فى الانتقال بحياته الى المرحلة الجديدة . وبوصوله الى مرحلة الزراعة هذه بدأ فى انشاء القرى وماء المساكن والمخازن والمقابر والمسابد والاسواق والطرق وما يستلزم الحياة المستقرة فى مجتمعه الجديد .

وأقدم القرى الموجودة فى منطقة الشرق الأدنى القديم هى قرى مصر حضارة الفيوم (٣) . ربة مرمدة بنى سلامة ، وقرية حلوان العمرى فى مصر السفلى ، وقرى عصر حضارة دبرتاسا فى مصر العليا وقرية جارمو وقرية تل حسونة فى شمال شرق العراق ، وقرية سيالك فى شمال وسط ايران ، وبعض قرى منطقة الحرق فى شمال شرق سوريا ، وتمثل هذه

(١) وقد عبر المصري أثناء العصر الفرعونى عن حقيقة بزوغ بعض الجزر بعد انحسار مياه الفيضان بالرمز الهرمى وخلق .

١. Ernan & H. Grapow, Wörterbuch der Aegyptischen Sprache, vol. III (Leipzig, 1923), P. 239.
R. S. El-Nadoury The Egyptian term H - NSWT and the problems of the "accession" of the Egyptian king, a Dissertation (Chicago, 1953), P. 21.

R. Braidwood, prehistoric men (Chicago 1946), P. 88. (٢)

(٣) تسمى هذه القرى "القرى القديمة" - حضارات مصر السفلى .

القرى الاولى أقدم مراكز استقرار في جميع أنحاء العالم وذلك بناء على الدراسة المقارنة
للدلة الاثرية المختلفة التي أنتجها سكان هذه القرى . ومن أمثلة من الحفارات الاولى لعصر
انتاج الطعام . وقد تطورت هذه الحضارات في العصور التالية الى أن تمكنت من الوصول الى
مرحلة المدنية وابتداء العصر التاريخي .

بعض حقائق موجزة عن حضارات العصر الحجري الحديث
في كل من مصر وميزوبوتاميا

من المجتمع الانساني بمراحل عديدة من التطور الاقتصادي والاجتماعي والديني
والسياسي . ويمكن تتبع هذا التطور في مختلف مجتمعات ما قبل التاريخ في العصر الحجري
الحديث وفي صور ما قبل وقبيل الاسرات ، ولكن كما سبق أن أشرت من قبل ، أن التطور الكبير في
المجتمع الانساني حدث في العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الادنى القديم وخاصة
في كل من مصر وميزوبوتاميا . ففي هذا العصر بدأ الانسان في تكوين تقاليد صناعية جديدة
بعد تحرره على الثورة الصناعية الاولى وحاجته الى مختلف الادوات الصناعية المتصلة بنشأة
الزراعة ، كما أن تحرره الى الحياة الزراعية اضطره الى الاستقرار والى ظهور المجتمع القروي
ما أدى الى نشأة نوع جديد من تفكير الانسان وسلوكه في مختلف مظاهر حياته وذلك على
أساس المبادئ والاسس التي يقوم عليها المجتمع الجديد . فمجتمع العصر الحجري الحديث
يقوم على أساس الاستقرار الزراعي وليس على أساس الانتقال من مكان الى آخر . وقد خلق هذا
الوضع الجديد سلوكا انسانيا جديدا هادئا نسبيا ، فالنجاح مضطرا الى ملاحظة زراعاتهم
ومحتاج الى الدفاع عن حقله ويدفعه ذلك الى ضرورة التعاون مع جيرانه الى حد كبير . وقد
تطور هذا النوع من التفكير الجديد الى وجود شعور بالارتباط بأرضه المزروعة وقد تطور ذلك
قيما بعد الى الشعور بالوطنية المحلية .

ويمكن تتبع آثار الانسان في العصر الحجري الحديث (النيوليثي Neolithic)
في عدد من المواقع الاثرية في كل من مصر السفلى والعليا . مثل مواقع كمك (K) وكم و (W)
شمال شرق بحيرة قارون وكذلك مواقع مرمدة بنى سلامة وحلوان الحمرى ودير تاسا . وتشمل
هذه المواقع القرى الاولى التي قامت فيها حضارة العصر الحجري الحديث في مصر . ويمكن
اعتبار آثار هذه القرى بمثابة الآثار الممثلة للتطورات المختلفة التي مرت بحياة الانسان نفسه
تلك الفترة في مصر . ويلاحظ المؤرخ اختلاف هذه الآثار من قرية الى أخرى من ناحية
التطور والنوع والكمية وكذلك التقاليد الصناعية . ويمكن تلخيص ذلك بأن الانسان في هذا
العصر قد مر بطبيعة الحال بعدد من التطورات حسب ظروف حياته وحسب البيئة التي نشأ

بيها هذا التطور. ويميل العلماء الى تقسيم هذا العصر الى عدد من الحضارات التي تشمل كل منها فترة زمنية ساد فيها أسلوب حضارى معين ذو تقاليد صناعية وحضارية خاصة ، ومميزة للبيئة والمجتمع الذى نشأت فيه هذه الحضارة ، ويمكن تلخيص حضارات مجتمعات المصر الحجري الحديث فى مصر وكذلك حضارات مجتمعات المصر الحجري الحديث فى ميزوبوتاميا فى الجدول المرفق هذا مع مراعاة أن هذا الجدول يتضمن أيضا عصر حضارات مجتمعات استخدام الحجر النحاس Chalcolithic وعصر حضارات مجتمعات ما قبل وقبيل الاسرات فى كل من مصر وميزوبوتاميا وفلسطين وسوريا وكريت .

وقد أظهرت دراسة الادلة الاثرية التى تركها عصر حضارة الفيوم أن مجتمع الفيوم يمثل ابتداء نشأة القرى أى ابتداء استقرار^(١) الانسان بصورة نهائية فى مصر، وقد اتجه الانسان فى مرحلة استقراره فى هذه المنطقة الى شواطئ بحيرة قارون وكانت مياه هذه البحيرة فى طريقها الى الانحسار تاركة الاراضى الخصبة الصالحة للزراعة . وقد استغل الانسان هذه الظروف البيئية المناسبة التى ربما لاحظها بعد انتهاء العصر المطير وبداية مرحلة الجفاف عند مواجهته لنهر النيل وكذلك فى مناطق الواحات فى الصحارى . واتجه الانسان الى استغلال هذه الاراضى وتعرف - كما سبقت الاشارة - الى الزراعة وبدأ فى بناء القرى فى هذه المنطقة . وقد تمكنت الاستاذة كاتون تومسون G. Caton - Thompson^(٢) من عمل حفائر فى بعض الاكوام شمال شرق بحيرة قارون وخاصة كم و (W) وكم ك (K) وقد كشفت فى هذين التلين عن قريتين وجدت قيما مجموعاتهم من الادلة الاثرية التى تؤكد توصل مجتمع حضارة الفيوم الى مرحلة الزراعة بصورة جيدة ، وكذلك توصله الى صناعة الادوات الحجرية المختلفة اللازمة لحياته الزراعية الجديدة مثل الاسبنة والمناجل والاجران والقوس وكذلك صناعة السمام والرماح ، هذا بجانب صناعته للوانى الفخارية باليد ، وذلك لعدم توصله فى ذلك الوقت الى استخدام عجلة الفخار .

(١) المقصود بكلمة استقرار Settlement هنا معنى الاستقرار الكامل بهوار الاراضى الزراعية التى قام بزراعتها وبدأ بعد ذلك فى بناء المنازل والامساك والمخازن أى مظاهر الاستقرار الكامل على غنى القرية .

(٢) G. Caton - Thompson & E. W. Gardner, The Desert Fayum (Great Britain) , 1934.

وقد تمكن انسان هذه الحضارة من الوصول الى هذا المستوى المالى فى الانتاج الزراعى والصناعى فى بيئة الغيم أى محليا، وربما حمل معه أثناء انتقاله الى هذه المنطقة بعض الماكينات الصناعية التى تمكن من محرفتها قبل استقراره فى منطقة الغيم، ولكن التطورات الحضارية فى مجتمعه الجديد نشأت بعد استغلاله للبيئة الزراعية الجديدة وبعد شعوره بحاجته الى صناعات تكمل حياته الزراعية .

وكم (و) الذى يقع فى شمال شرق بحيرة قارون ببيضاوى الشكل ويمتد حوالى ٦٠٠ قدم من الشرق الى الغرب ٥٠٠ قدم من الشمال الى الجنوب . وقد قسم الاثريون هذا الكم الى عدة أقسام وأظهرت نتائج الحفر وجود حفري يبلغ عددها ٢٤٨ حفرة . وهذه كانت تستخدم كمكان لحرق الاخشاب للحصول على النار التى تستعمل فى طهى الطعام . ويلاحظ الاثريون أن المادة التى استخدمت فى الحرق فى عصر حضارة البدارى كانت من روث البهائم . وربما استخدمت هنا سيقان النباتات البرية أو المزروعة كوقود لهذه النار . ولم يستخدم انسان هذه الحضارة أى نوع من الاحجار أو كتل الطين لاحاطة هذه الحفرة وكوم من المحافظة على النار . وقرب كم (ك) عثر على ٦٧ حفرة منها ٥٦ كانت تستخدم كمخازن لحزن المحصول الزراعى . ويلاحظ أنه وجد ٤٢ من هذه المخازن مبطنة بالقش ويبلغ قطر المخزن من ٥ قدم و ٢ بوصة الى ١ قدم و ١/٢ بوصة والعمق ٣ قدم السى أقل من قدم واحد . وفى بعض الاحيان حدد المخزن Silo بواسطة حصير مصنوع من قش الذرة . وقد وجد فى هذه المخازن القمح والشعير وقشر القمح وبذور نبات عصا الراعى وأيضا وجد بعض القمح فى حالة (تكرين) carbonised . وفى بعض المخازن عثر على بقايا قماش وكذلك بعض الجلود . ولم تكشف الحفائر حتى الآن وجود مقابر وربما توجد فى مكان آخر لا يزال فى حاجة الى عمل حفائر فيه . ومن أهم ماوصل اليه مجتمع حضارة الغيم أ بعض مظاهر التفكير الجماعى فى المجتمع وذلك بناء على وجود المخازن الجماعية بجانب المخازن الخاصة . كما أن العثور على عدد كبير من أدوات الصيد المختلفة ربما يكون دليلا على جمع انسان هذه الحضارة بين الزراعة والصيد . ولكن مما لاشك فيه أن جميع آثار حضارة الغيم أ تبين انتقال الانسان من مرحلة الصيد وجمع الطعام الى مرحلة الاستقرار ونشأة القرى .

وفى قرية مريتا بنى سلامة على الضفة الغربية لقرى رشيد مخرب الدلتا تمكن الانسان من بناء قرية كبيرة الحجم اذا قورنت بقرى مجتمع ديرتاسا وغيره من مجتمعات مصر العليا . وكان العلماء يتجهون الى القول بأن هذا الموقع مكون من طبقة واحدة ولكن ثبت من دراساته نتائج الحفائر أنه مكون من ثلاث طبقات . ولم تترك الطبقة السفلى أى بقايا منازل ولكنه

تركزت بعض المواقد والمقابر وبعض شقف من الفخار^(١). وعثر في الطبقة الوسطى على عدد من الثقوب أو الحفر المنظمة على شكل بيضاوى يتوسطها أحدها ووظيفتها مرتبطة باحتتمــــال استخدامها كمكان توضع فيه الاعمدة الخشبية ، وهذا يبين أن منازل أصحاب هذه الطبقة الحضرية كانت مصنوعة من الخشب . أما منازل الطبقة العليا فكانت مصنوعة من كتل الطين وعلى شكل بيضاوى وبطريقة منتظمة تدل على ثقافة التنظيم الاجتماعى فى مجتمع ذلك العصر . وتدل دراسة آثار جميع الطبقات على استخدام سكانها للحبوب . ولم يعثر على المخازن التى تحتوى على الاسبطة الخاصة بهذه الحبوب الا فى الطبقة العليا فقط . وقد عثر على بقايا هذه المخازن بجانبي كل مسكن . أما البقايا المنظمة فتدل على استخدام هذا المجتمع للماشية . أما عن انتاج أصحاب حضارة مرمدة بنى سلامة فيمكن ملاحظته فى الصناعات الحجرية وخاصة صناعة المناجل والسكاكين والسهام ، وكذلك فى الصناعات الفخارية . ويتميز الفخار بأنه مصنوع باليد لعدم توصل المجتمع الى عجلة الفخار بعده . ومن ناحية ايمان هذا المجتمع بالحياة الآخرة فقد دفن السكان موتاهم بجوار أو داخل منازلهم وذلك يشبه لحد ما مجتمع حضارة حلوان الصمري . وجود بعض المدافن داخل القرية . ومن ذلك يتبين أن هذا المجتمع لم يصل فى تطور تفكيره الى مرحلة بناء منازل خاصة بالاموات خارج القرية أى فى منطقة خاصة لذلك الغرض ، بل كان دفنهم داخل نطاق قرية الاحياء .

ومن حضارات العصر الحجري الحديث فى مصر عصر حضارة حلوان الصمري . وتقع هذه القرية عند قاعدة بروز صخرى فى حافة البضيبة يسمى رأس الجوف على بعد ثلاثة كيلومترات شمال مدينة حلوان وعند نهاية سكة حديد المهاجر . ويتكون الموقع الاثرى من جبانيتين وقرية . وقد دل البحث فى هذا المرقع على اتصال هذا المجتمع بمجتمع مرمدة بنى سلامة وكذلك بمجتمع المحادي ، وهذا يدل على اتصاله بمصر السفلى أكثر من الصعيد . ويلاحظ الدارس لبقايا مساكن القرية . أنها ذات نوعين . النوع الاول ، منازل تعتمد على اعمدة خشبية فى شكل بيضاوى ومبنية على سطح الارض . والنوع الثانى له أساس محفور فى الارض وأبنية فى شكل دائرى^(٢) . ولم يتبق من النوع الاول غير آثار قليلة من الاعمدة الخشبية تدل على وجوده . أما النوع الثانى فقد تبقت آثار البناء المحفور فى الارض . هذا وتختلف أعمار هذا البناء السفلى .

Elise J. Baumgartel, The Cultres of Prehistoric Egypt ((1)
(London 1955), P. 180.

M. Debono " El - Omeri (Prés D'Helouan), Annales du (2)
Service des Antiquités de L'Egypte, Vol XLV 111, P. 583.

وقد عثر العلماء أيضاً على عدد كبير من المخازن المحفورة في الأرض .

أما عن عادات الدفن في هذا المجتمع فقد دفن السكان موتاهم في القرية نفسها وبجوارها وأيضاً بعيداً عنها^(١) ، والتقليد الخاص بالدفن في القرية نفسها يخالف ما اعتاد عليه مجتمع دير ثاما ولكنه يشبه ما اعتاد عليه مجتمع مرمدة بني سلامة . ووجدت الجثث في وضع على الجانب الأيسر ويتجه الوجه نحو الغرب والرأس نحو الجنوب وقد غطى الجسم بواسطة حصير وأحياناً بالجلد أو القماش ويلاحظ الدارس أن بعض المقابر قد وزعت في صفوف منتظمة وكذلك غطيت بعضها بواسطة كم من الحجر . ولم يستقر الرأي بصورة نهائية حتى الآن على التمازج الجانبيين إلى نفس القرية .

ومن أهم آثار مجتمع حلوان المسمى والتي لم يحترق على شمل لها حتى الآن فمسي مجتمعات ما قبل التاريخ في مصر هي بقايا آثار أزهار وجدت بجانب البحيرة الحلوى من جسم المتوفى . وكذلك عثر أيضاً ضمن آثار هذه الحضارة على نواة تمر^(٢) . ويغلب أن المؤرخ لم يتوصل حتى الآن على معرفة هذه الفاكهة في مصر النصرية قبل عصر الدولة الوسطى وقد أنتج مجتمع حلوان المسمى نوعاً جيداً من الفخار الذي كان يصنع باليد . هذا بجانب صناعة الأدوات الحجرية والمعدنية والخشبية والصدفية بالإضافة إلى صناعة النسيج والاسبق والمصنوعات الجلدية . ويمكن القول بوجه عام أنه على الرغم من تشابه هذا المجتمع بمجتمع مرمدة بني سلامة لحد ما فإن آثار حلوان المسمى تبيّن تطوراً ملحوظاً على نطاق أوسع نسبياً .

أما المجتمع المميز لمصر العليا وينتمي إلى العصر الحجري الحديث فهو مجتمع دير ثاما على الضفة الشرقية جنوب شرق أسيوط . وتنتشر قرى وجبانات هذا المجتمع في المنطقة الصحراوية الواقعة بين المشايخ الشرقية من ناحية وبين الأرض المنخفضة من ناحية أخرى . وقد وجدت مقابر التأسيسين مختلطة بمقابر البداريين ، ولذلك اتجه بعض المؤرخين إلى اعتبارهم أقرباء للبداريين . وقد أنتج هذا المجتمع نوعاً من الفخار المميز له وهو الاقداح التي على شكل الساقوس . وربما كان السبب في اتساده هذا الشكل هو تقليد للوعاء الجلدي الذي كان يستخدم في بداية الأمر . وقد زينت هذه الاقداح التأسيسية بخطوط حفرت في الأليسة وملئت بطلاء أبيض . وأنتجت هذه الحضارة أيضاً أمثلة جديدة من اللوحات وأدوات الخزف .

Debone, Ibid., P. 564.

Debono, " Helouan: El Oaseri ", Chronique d'Egypte, Jan., 1946, P. 51.

Debone. Op. cit., P. 568.

(١)

(٢)

ويمكن القول أن مجتمع عصر حضارة دير تاسا قد انتقل في مراحل التطور إلى مرحلة تفسق سوق مجتمع الغنيم أ لحد ما . أما فيما يتعلق بالمقابر النحاسية فكانت مستطيلة الشكل وكان الميت يوضع داخل سلة مصنوعة من الأغصان وكانت تغطى بالحصير . وكان الجسم ملف بواسطة الجلود وقد عثر على بقايا أقمشة يحتمل استخدامها في الملف . وكانت توضع تحت الرأس وسادة من القش أو النخالة أو الجلد . ولم يعثر على ما يدل على طريقة تسقيف المقبرة . وفي المقبرة رقم ٢٨٤٢ عثر على فجوة في الجزء الخرس منها . وهذه الفجوة ^(١) تسمح آنية فخارية . ويمكن القول أن هذه الفجوة ربما تعتبر تمهيدا لما ظهر في صميم العصر التاريخي في مصر الفرعونية من وجود مخازن متصلة بحجرة الدفن لخزن ما يحتاج إليه المتوفى في العالم الآخر . وقد عثر على بقايا شعر المتوفى في ثلاثة مقابر . وما يذكر أن الشعر كان مموجا مما يدل على عسدم انتماء أصحابه إلى العناصر الزنجية في ذلك العصر العنقاري . ولم يعثر على أى دليل يبين توصل أصحاب هذا المجتمع إلى استخدام التوابيت الخشبية . ويلاحظ أيضا أن جبانات مجتمع دير تاسا كانت مستقلة عن مساكن الأحياء وهذا يبرر ثنوق هذا المجتمع على مجتمع مرمدة بنى سلامة في هذا الموضوع . أما من ناحية الحياة الزراعية فقد عثر على الأجران وعلس مخزني للشمع مما يبين بصورة واضحة معرفة هذا المجتمع للزراعة بجانب ممارسة أهل الصير البر والنهر .

من ذلك كله يتبين أن هناك أربعة مجتمعات في مصر تنس إلى العصر الحجري الحديث . وتدل آثار هذه المجتمعات الأربعة على الغنيم أ ومرمدة بنى سلامة وحلسوان العمري ودير تاسا على توصلها جميعا إلى مرحلة إنتاج الطعام (الزراعة) وبناء القصرى ومختلف لوازم الحياة المستقرة . فتمكن انسان هذا العصر في مصر من صناعة الأواني الفخارية والحجرية المتصلة بالحياة الزراعية . كما أنتج المنسوجات بجانب بناء المنازل والمقابر وقد استمرت هذه المجتمعات فترة حوالى ألف عام إلى أن تمكن المجتمع في مصر من الانتقال إلى عصر جديد هو عصر استخدام النحاس والحجر . ويلاحظ الدارس في تطور مجتمعات العصر الحجري الحديث في مصر أنها بدأت باستكمال حاجات الانسان الاقتصادية أولا ثم النواحي الكمالية بعد ذلك . ومن ناحية أخرى يمكن الاستدلال من وجود المخازن الجماعية في مجتمع الغنيم أ على التفكير الجماعي في هذا المجتمع بجانب وجود بعض المخازن الخاصة . ولا شك أن هذا التفكير الجماعي يمكن ملاحظته من مرحلة الثرة الصناعية الأولى عند

G. Brunton, *Lost of Egypt and the Tassian Culture*, (London, 1937), P. 26. (١)

اضطر الانسان أن يواجه تحدى النهر واضطر للتعاون للتحكم فيه . وليس معنى توصل مجتمع العصر الحجري الحديث الى الزراعة أنه أهمل كلية التفكير في الصيد فتدل الآثار على العثور على عدد كبير من أدوات الصيد بجانب أدوات الزراعة مما يبين جمع الانسان بين مهنة الزراعة وبين ما يلزمه من صيد الحيوانات والطيور والاسماك . وقد رتب بعض العلماء أخيراً هذه الحضارات الاربعة السالفة الذكر على أساس أن أقدمها هي حضارة الغيم أ وأحدثها حضارة دير تاسا وذلك على أساس المقارنة للدلائل الاثرية . وبما يحدل هذا الترتيب على أساس نتائج الحفائر الجديدة .

ويتبين من دراسة الجدول المقارن المرفق بأن عصر حضارة الغيم أ يحاصر عصر حضارة جارمو بالعراق القديم . وهناك بعض المؤرخين من يجعل عصر حضارة حسونة هو العصر المعاصر للغيم أ في مصر^(١) والدراسة الحديثة حتى الآن تبين محاصرة جارمو للغيم أ . وقبل تتبع هذا الموضوع بالمقارنة يمكن تلخيص حضارات العصر الحجري الحديث وعصور ما قبل وقيبل الاسرات في العراق القديم فيما يلي :

١- عصر حضارة جارمو ٢- عصر حضارة حسونة ٣- عصر حضارة حلف ٤- عصر حضارة المبيد ٥- عصر ما قبل الكتابة ٦- (عصر حضارة الوركاء ب) عصر حضارة جمدة نصر .

وقد سبقت هذه العصور الحضارية المثقلة للعصر الحجري الحديث بعدة حضارات تمثل العصر الحجري القديم وكذلك فترة الانتقال من العصر المسجري القديم الى العصر الحجري الحديث أي من مرحلة سكنى الكهوف الى مرحلة بناء القرى المستقرة في العراق القديم . وقد قام الاثريون بالحفر في بعض كهوف العصر الحجري القديم وخاصة في باليكورا وكذلك في كاريم شاهير في منطقة مضبة كردستان . ويمكن تأريخ حضارة هذين الموقعين الى نهاية العصر الحجري القديم أو بداية عصر سكنى الكهوف في العراق القديم . وهناك فجوة حضارية بين حضارة كاريم شاهير وبين حضارة جارمو وهو التل الذي يمكن اعتباره مثلاً لبداية الاستقرار ونشأة القرى في العراق القديم . وتوجد في تل جارمو بقايا حوالي اثني عشرة طبقة حضارية وذلك خلال عمق قدره ٢٥ قدم . والبقايا المصممة في حضارة جارمو عبارة عن حيطان مصنوعة من الطين وفي بعض الاحيان ذات أساس من الحجر . وقد عثر الاثريون على الاواني الفخارية وكذلك على بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من الطين وتمثل بعض الحيوانات وكذلك آلهة الامومة . وكذلك أنتجت الحفائر عدداً من الاواني الحجرية وكذلك للاسلحة الخاصة

H. Frankfort, the Birth of Civilization. (Bloomington, 1951) P. 112 (١)

بالمناجل . وقد عثر على بقايا القمح والبسلة . وقد قام العلماء المختصين ببحث بقايا عظام الحيوانات فدلّت على انتماء غالبيتها (٨٠ ٪) للأنعام والماعز ، وذلك يبين بصورة واضحة أنها لا تتصل بمرحلة الصيد بل بمرحلة الاستقرار وحياة القرى المستقرة .

ويحتل وجود فجوة حضارية بين عصر حضارة جبارمو والمصر الحضارى التالى وهو عصر حصونة (١) الذى يمكن اعتباره أهم يمثل صميم عصر القرى المستقرة بصورة أكيدة . ويمكن للباحث تتبع آثار هذا العصر الحضارى فى المواقع التالية : تل حصونة فى الطبقات من ١ - ٥ . ويمكن اعتبار الطبقة السادسة بداية عصر حضارة حلف ، وسامرا ، وهى مجموعة من المقابر وليثوى ، الطبقات ١ ٢ ٥ أ ٢ ٥ ب وغيرها . وعصر حضارة حصونة يمثل حضارة قريسة مستقرة فى العصر الحجري الحديث . ولم يعثر الاثريون على أى معدن فى تل حصونة أعلن أصحاب هذا العصر الحضارى لم يصلوا الى عصر استخدام النحاس والحجر بل يمثلون صميم العصر الحجري الحديث . فقد تمكنوا من زراعة النباتات وخاصة القمح وكذلك استئثروا الحيوانات كالخنزير والماعز والخنزير ، وبنوا منازلهم من كتل الطين ، ولم يصل الاثريولوجيون الى التعرف على جنس أصحاب هذه الحضارة . وقد عثر الاثريون على أدلة أثرية عديدة تبين تقدم أصحاب هذه الحضارة ، فى الصناعة الفخارية ، فهناك أمثلة من الفخار المصقول وفخار سامرا الطسسون الذى اتجه البعض الى اعتباره ممثلا لعصر حضارى مستقل ، ولكنه يعتبر الآن ضمن عصر حضارة حصونة الممتد على طول الطريق بين نهر دجلة والبحر الأبيض المتوسط . ولا توجد أمثلة جنوب سامرا تمثل هذا العصر الحضارى وربما كان السبب فى ذلك أن جنوب ميزوبوتاميا لم يكن معتبرا مناسباً فى ذلك الوقت للسكنى وذلك لرطوبته (٢) . هذا وقد توصل انان حضارة حصونة الى فكرة الايمان بالحياة فى السالم الآخر . وقد عثر على بقايا حثث للأطفال دفنوا فى بعض الاواني الفخارية كما أن اتجاه رأس المتوفى كان نحو الشمال . وتؤرخ هذه الحضارة الآن بحوالى ٤٤٠٠ ق م .

والواقع أن المؤرخ يجد صعوبة فى الوصول الى رأى نهائى ازاء موضوع أولوية التوصل الى مرحلة الاستقرار الكامل بين كل من مصر والعراق القديم أو بالاحرى بين عصر حضارة

(١) S. Lloyd and F. Safar. "Tell Hassuna" Journal of Near Eastern Studies. Oct. 1945.

(٢) صالح الأستاذ الدكتور سليمان حزين موضوع الجو فى مصر فى عصور ما قبل التاريخ ووصل الى أنه كان رطباً فى ذلك الوقت بدرجة تفوق رطوبته فى العصر التاريخى .

S. A. Huzzayin The place of Egypt in prehistory, Mémoires présentées à l'Institut d'Egypte, Vol. XLIII, 1941.
S. A. Huzzayin. Some New Light on the Beginnings of Egyptian Civilization (Cairo, 1939).

القيم أ ورمدة بنى سلامة من ناحية وعصر حضارة جارمو وعصر حضارة تل حصونة من ناحية أخرى . ولو أن الظواهر حتى الآن تبين أقدمية القيم أ في بعض النواحي وكذلك أقدمية جارمو في بعض النواحي الأخرى . ونظرا لحداثة البحث في جارمو ، وكذلك ضرورة إعادة البحث في مواقع القيم أ فالموضوع لا يزال مجال البحث . وربما تكشف نتائج الحفائر الحديثة رأيا نهائيا في هذا الموضوع الهام . ومقارنة نتائج الحفائر في كل من القيم أ و جارمو تبين توصل كل منها إلى مرحلة الزراعة المستقرة ونشأة القرى فكلاهما أنتج المناجل الحجرية وتوصل إلى صناعة الفخار وكذلك الصناعات العظمية وصناعة الاجران وصناعة الاسبتة في القيم أ والحصير في جارمو . ويأخذ المؤرخ في الاعتبار في هذه الدراسة المقارنة مختلف نواحي الانتاج المادي والمعنوي كما يتبين من مختلف الأدلة الأثرية .

وفيما يتعلق بالعصر الحضاري التالي في كل من مصر والعراق القديم وهو عصر استخدام النحاس والحجر فيتمثل في مصر العليا في عصر حضارة البداري وفي مصر السفلى في عصر حضارة القيم ب . أما في العراق القديم فيتمثل في عصر حضارة حلفاء ولو أن استعمال المعادن في هذا العصر الأخير كان نادرا . ويمكن تلخيص أهم النتائج لهذه العصور في كل من مصر والعراق فيما يلي :

ملخص عن عصر استخدام النحاس والحجر في كل من مصر وجزيرة تامة

يتصل هذا العصر في مصر بصفة خاصة في عصر حضارة البداري ويتميز هذا العصر باستخدام معدن النحاس كمادة جديدة في الصناعة . وقد ساعد ذلك على تطور الحياكة الصناعية في هذا المجتمع ولو أن الأدلة الأثرية لا تدل حتى الآن على العثور على كميات كبيرة من الأدوات المصنوعة من النحاس . وقد اتجه البعض إلى الاعتقاد باحتمال استيراد هذه الأدوات النحاسية وعدم صنعها محليا ولكن الرأي التقليدي حتى الآن هو تمكن المجتمع في هذا العصر من التوصل إلى هذه المرحلة الجديدة وهي مرحلة استخدام النحاس بجانب الحجر .

ويتجه البعض إلى اعتناء أولوية استخدام النحاس في العالم القديم إلى إيران . وما لاشك فيه أن مجتمع البداري استخدم النحاس لأول مرة في مصر . هذا بجانب توصله إلى انتاج مختلف الأدوات الحجرية الخاصة بالحياة الزراعية مما يبين تفرقه الصناعي في كافة النواحي . وقد آمن أصحاب حضارة البداري بالحياة في العالم الآخر . وتتميز جوانب بعض

المقابر البدارية بعدم كوليها عمودية بل منحدره قليلا وذلك يجعل أرضية المقبرة أصغر حجما من نوبتها^(١). وقد عثر على بقايا الحصى على جوانب المقبرة لوقاية المتوفى من سقوط الرمل عليه وكذلك عثر على ثقب في أحد جوانب إحدى المقابر ووجد عميدا بقاءا خشب ربما لحمل أعمدة السقف الخاصة بالمقبرة وكل ذلك يبين تطور فكرة الايمان بالحاليم الآخر وزيادة تأكيدها في هذا العصر، وكان الجلد هو إحدى المواد التي تستخدم في تغطية جسم المتوفى. ولوحظ أيضا أن مقابر الذكور قد حفرت بجانب مقابر الاناث.

ولم يعثر على بقايا توابيت خشبية أو طينية ولكن عثر على بقايا سلال. وما يستلزم الانتباه وجود مدافن خاصة بالحيوانات وهذا يدل على وجود حيوانات مقدسة لديهم. أما عن وضع أجسام الموتى فتميز بكونها كأنها في حالة نوم طبيعي (وضع القرفصاء) بزوايا تختلف باختلاف المقابر. وكان اتجاه الرأس عادة نحو الجنوب وبعضها نحو الشمال. وعلى الرغم من أن البداريين قد تركوا هذه أدلة أثرية تبين ايمانهم الأكيد بالحياة في الحالم الآخر إلا أن آثارهم لم تبين وسائل المحافظة على الجثة ذاتها أي التحنيط، ولكن وجدت - كما سيقت الإشارة - بعض لفائف من القماش ولفائف من الدل. لدول الجسم. وقد عثر على بعض التماثيل في المقابر وتمثل هذه التماثيل آلهة الامومة. ويمكن اعتبار دفن البداريين للحيوانات ظاهرة أولى في تفكير المصريين في اتخاذهم بعض الحيوانات كرموز لبعض الآلهة. أما من الناحية الصناعية فقد تمكن البداريون من صناعة الادوات الحجرية واستخدموا الفأس النحاسية، وهذا بجانب صناعة الفخار ذو القمة السوداء الذي يميز هذا العصر الحضارى. ومن أهم الظواهر التي تميز صناعة الفخار في مجتمع البدارى وجود علامات مميزة للوانى الفخارية. وقد استنتج العلماء من وجود هذه العلامات على توصل مجتمع البدارى الى التفكير في الملكية الشخصية، فهذه العلامات قد وضعها اصحابها كرموز تبين ملكيتهم لهذه الوانى. وعلى الرغم من تدور الحياة الزراعية والصناعية في عصر حضارة البدارى وازدياد القرى المنتمية الى هذا العصر فإن الاتصال الخارجى ظاهرا على نطاق أوسع في العصور الحضارية التالية وهي عصور حضارات ما قبل الاسرات.

أما العصر الحضارى الممثل لعصر استخدام النحاس والحجر في العراق القديم فهو حضارة حلف، ويختلف المؤرخون في أصل هذه الحضارة. وتتجه الاسماء الى PERKINS الى القول باحتمال كون مركز حضارة حلف في منطقة الموصل شمال شرق

G Brunton, and G. Caton - Thompson, The Badarian Civilization, (London, 1934), P. 18.

(١)

المصريين في منطقة الخابور في شرق سوريا . وهناك احتمال آخر وهو ارجاع هذه الحضارة الى اصل ارميني . والاتجاه التقليدي لدى المؤرخين هو اعتبارها نشأت في تل حلف ذاتها وذلك على أساس أن فخار حلف المميز لهذه الحضارة قد بدأ العثور عليه هناك . ولم تتصل حضارة حلف بمنطقة ايران وذلك لوجود الحواجز الطبيعية وخاصة جبال زاغروس التي عطلت على منح حضارة حلف من دخول ايران . وكذلك لم تمتد هذه الحضارة في جنوب ميزوپوتاميا وذلك لعدم سكنى الجنوب بعد ذلك الوقت . ولذلك امتدت هذه الحضارة في منطقة الموصل وكذلك في منطقة سنجار عبر نهر الخابور في منطقة جبل عبد الصزيز وفي سوريا حتى منطقة الحمق ورأس شمرا وكذلك في حدود الاناضول الجنوبية الشرقية . ويمثل هذا العصر الحضاري في مواقع تل حلف وتل الارباشية وثبة كورا وسامرا وتل حسونة ونينوى وتل شافير بازار وقرقيش . ويؤرخ هذا العصر الحضاري بحوالى ٤١٠٠ ق م . ويتميز هذا العصر الحضاري بأواني الفخارية الملونة التي تمثل تفوقا صناعيا لأصحاب هذه الحضارة في هذا المجال . وقد دلت الأدلة الاثرية الناتجة من هذا العصر الحضاري على صنع الانسان في تلك الفترة لعدد من التماثيل الصغيرة لالهة الامومة . ولا شك أن القرى قد ازدادت في هذا العصر بالمقارنة بعصر حضارة حسونة . من ذلك يتبين أن هناك نوع من التشابه النسبي بين كل من حضارة البدارى وحضارة حلف ، فكلاهما بدأ استخدام المعادن وكلاهما أنتج آلهة الامومة وتطورت صناعة الفخار في كل منهما تطورا كبيرا . وتؤرخ حضارة البدارى بحوالى ٤٥٠٠ ق م أى أنها تسبق حضارة حلف ، ولكن هذه المسائل التقويمية لم تصل الى نتيجة نهائية فاصلة بعد وتلى عصر استخدام النحاس والحجر عصور ما قبل الاسرات في كل من مصر وميزوپوتاميا .

ملخص عصور ما قبل الاسرات في كل من مصر وميزوپوتاميا مع دراسة العلاقات بينهما :

ينقسم هذا العصر في مصر الى ثلاثة أقسام ، عصر ما قبل الاسرات الأول ويستمر من حوالى سنة ٤٠٠٠ ق م الى سنة ٣٦٠٠ ق م . ويمثل هذا العصر في موقعين أثريين هما جرزه والعمرة ٧ ويلى عصر ما قبل الاسرات الأول عصر ما قبل الاسرات الاوسط ويستمر من حوالى ٣٦٠٠ الى حوالى ٣٤٠٠ ق م . ويمثل أيضا في كل من جرزه والعمرة ونقادة ٨ ويمكن تأريخ حضارة المعادى في الفترة الواقعة بين عصر ما قبل الاسرات الاوسط وعصر ما قبل الاسرات الاخير . وهذا العصر الاخير يستمر من حوالى ٣٤٠٠ الى حوالى ٣٢٠٠ ق م أو ٣١١٠ ق م . ويمثل بصفة خاصة في جرزه م (انظر الجدول المرفق) . وبعد ذلك بدأ العصر التاريخي في مصر بتوحيد مصر وبداية عصر الاسرات الفرعونية وقد أطلق العلماء على عصور ما قبل الاسرات اسم عصر نقادة الاولى بالنسبة الى عصر حضارة

العمرة أى عصر ما قبل الاسرات الاول ، ونقادة الثانية بالنسبة لعصر حضارة جرزة . وقد قسم الاستاذ بترى حضارات عصور ما قبل الاسرات تقسيما تاريخيا متتاليا على أساس المقارنة بين مختلف مظاهر انتاج حضارات عصور ما قبل الاسرات وتطور هذا الانتاج .

وتتميز حضارة العمرة بفخارها المحلى بالرسم البيضاء وكذلك الزخارف الهندسية . أما حضارة جرزة الاولى فتميز بفخارها ذو الايدى المموجة ، ذلك الفخار الذى صدر الى مصر من فلسطين . ويمكن القول أن من أهم الظواهر الجديدة فى حياة المجتمع ابتداء من عصر ما قبل الاسرات الاول خروج المجتمع المصرى عن نطاق القرية المحلى الى المجتمعات الخارجية خارج مصر . وهناك عدة أدلة أثرية تثبت هذا الاتصال الخارجى . وقد بلغت هذه الاتصالات ذروتها فى عصر حضارة جرزة الاخير . وان دراسة آثار حضارات الفيوم ومرمودة بنى سلامة وحلوان العمري ودير تاسا تدل على أن مجتمعات هذه العصور الحضارية كانت مجتمعات محلية لحد ما ، فمصر فى ذلك الوقت كانت تملك هذه الحضارات المحلية المنعزلة نسبيا عن بقية حضارات الشرق الادنى القديم . وتطورت هذه الحضارات المحلية فى مصر بدون أى تأثير خارجى . وكان هناك نوع من الصلة والقرابة بين هذه الحضارات داخل نطاق مصر ذاتها وأيضا بينها وبين بعض الحضارات الاغريقية وخاصة فى شمال السودان ولكن يصعب التعميد الدقيق لحدى هذه الصلات فى ذلك الوقت لحاجة المؤرخ لكمية أكبر من الأدلة الأثرية يستند عليها فى نظرياته . وليس معنى ذلك انعدام الصلات كلية بين مصر وفارس آسيا فى ذلك الوقت ، بل كانت هناك صلات تجارية ولكن على نطاق ضيق نسبيا وانحصرت هذه الصلات فى استيراد الأخشاب السورية مثل خشب الصنوبر وخشب الارز والمرمر والسرو ولكن ليست هناك أى أدلة أثرية على استيراد أى مصنوعات أجنبية ولو أنه يوجد بعض المؤرخين ممن يعتمدون على هذه الأدلة فى القول بوجود علاقة حضارية بين مصر وفارس آسيا فى عصر حضارة العمرة ولكن هذا رأى ليس قاطعا بأية حال ، من الاحوال (١) . أما فى عصر حضارة جرزة الاخير فهناك أدلة أثرية قاطعة على وجود اتصالات حضارية وتجارية بين مصر والعالم الخارجى .

ويمكن مقارنة فخار جرزة ذو الايدى المموجة بالفخار الفلسطيني المعاصر والسبى ينتمى الى عصر استخدام النحاس والحجر الاخير فى فلسطين . ولم يثر فى مصر عيسى أى تطور فى صناعة هذا النوع من الفخار ، انطبقة الثامنة عشرة فى بيت شان ولذلك يغلب

Relative Chronologies in old World Archaeology Chicago , (١)
1954. P. 3.

المؤرخون أن فلسطين كانت المصدر الذى اتصلت به مصر فيما يتعلق بهذا النوع من الفخار . وقد عثر على أمثلة منه أيضا فى عصر حضارة المعادى . وربما ساعد ذلك على تحديد الطريق الذى اتصلت به مصر بالخارج وفى هذه الحالة هو طريق الدلتا . وهناك نسوع آخر من الفخار يتميز بصنائيره المائلة والذي يمكن اعتبار ميزوبوتاميا مكانه الاصل . وقسب عثر على أمثلة من هذا الفخار فى كل من مصر وفلسطين فى بداية عصر ما قبل الاسرات . وليس معنى تقسيم عصر حضارة جزره الى قسمين الاول والاخير أن هذا العصر الحضارى ليس يكن موحدًا بل الواقع أن الفترة الاخيرة منه تتميز بصلاتها الحضارية الكبيرة بالمحيط الخارجى مما أدى بالعلماء الى تمييزها عن عصر حضارة جزره الاولى . ويمكن تحديد عصر جزره الاول بالتأريخ المتتابع من ٤٠ - ٥٠ وعصر جزره الاخير بالتأريخ المتتابع من ٥٠ - ٦٠ (١) . وقد زادت الصلات الخارجية فى عهد جزره الاخير لدرجة يمكن القول فيها أن هذا المصر خرج من النطاق المحلى المصرى الى النطاق الدولى فى منطقته الشرق الادنى القديم أى ليس فى النطاق الافريقى فقط بل فى النطاق الاسيوى أيضا . وقد ساعد ذلك بلا شك على القفز بالمجتمع المصرى الى العصر التالى وهو عصر المدينة المصرية الفرعونية أى بداية العصر التاريخى .

أما عن الصلات الحضارية بين مصر وميزوبوتاميا فى عصر حضارة جزره الاخير فإن المؤرخ يعتمد فى تأييد وجود هذه الصلات الحضارية على أربعة أختام اسطوانية الشكل cylinder seals اثنان منها ثبت تأريخها الى عصر حضارة جببى جزره الاخير . وقد اعتمد المؤرخون على ذلك فى الاستدلال بأن عصر حضارة جمدة نصر يستمر محاصرا لعصر حضارة جزره الاخير . هذا بجانب وجود ثلاثة أوانى فخارية بمصر تتميز بأذانيها المثلثة الشكل . وهذا النوع من الفخار معروف فى عصر ما قبل الكتابة فى ميزوبوتاميا . وبالإضافة الى الاختام الاسطوانية والاوانى الفخارية هناك بعض الرسومات الميزوبوتامية الطابع قد ظهرت فى مصر فى نهاية عصر جزره الاخير وبداية العصر التاريخى مثل مناظر الحيوانات المتشابهة وكذلك البطل بين أسدين وغيرها من المناظر الميزوبوتامية ، وخاصة ما وجد على مقبض سكين جبل العرق (٢) .

(١) لا يترض الكاتب الى وصف تفصيلى لآثار حضارات العمرة وجزره والمعادى بسبب يقتصر على دراسة الحضارات المصرية والميزوبوتامية دراسة موضوعية مقارنة مع الاختام بصلاتها الحضارية والتجارية .

(٢) Relative Chronologies in Old world archaeology, Chicago, 1954, Fig. 1.

هذا بجانب وجود رسومات لسفن ميزوبوتامية على بعض مقابض السكاكين وكذلك
صخور الصحراء الشرقية^(١). وخاصة في منطقة وادى الحمامات وهناك أيضا موضوع العمارة
ذات الفجوات Niches المنتظمة ، ويواجهها الدارس بصورة واضحة في عمارة الاسسرتين
الاولى والثانية في مصر الفرعونية . ويلاحظ عدم وجود دليل قاطع نهائى حتى الآن على
مصر يبين التطور والانتقال الى مرحلة العمارة ذات الفجوات المنتظمة . ويلاحظ الدارس من
ناحية أخرى وجود هذا النوع من العمارة في ميزوبوتاميا منذ عصر حضارة العبيد . وقد
ذهب بعض الباحث بعد دراسة هذه الادلة الاثرية السالفة الذكر الى القول بحقيقة^(٢) وجود
تأثير ميزوبوتامى على مصر في نهاية عصور ما قبل الاسرات وكذلك في بداية العصر التاريخى
أى في مرحلة بداية تطور المدنية المصرية . وقياسا على ذلك ذهب بعضهم الى القول بأسبقية
ميزوبوتاميا على مصر في التوصل الى عدد من العناصر المعمارية ، بل يذهب البعض الى احتمال
أسبقية ميزوبوتاميا في موضوع التوصل الى فكرة التصوير بالكتابة^(٣). ويزيد الموضوع صعوبة
عدم وجود آثار مصرية في ميزوبوتاميا في تلك الفترة . الواقع أن هذه الادلة الاثرية
الميزوبوتامية في مصر يمكن اعتبارها تمثل نوعا من نتائج الصلات التجارية أولا وبالتالى الحضارية
بين ميزوبوتاميا ومصر . وقد اتخذت هذه الصلات طريق البحر الأحمر وادى الحمامات بدلا من
طريق الهلال الخصيب فمنطقة الدلتا^(٤). وقد غالى المؤرخون بعض الشيء في القول بأن هذه
الادلة الاثرية تثبت أسبقية ميزوبوتاميا بصورة قاطعة على مصر في نهاية عصور ما قبل الاسرات
وبداية العصر التاريخى . والواقع أن هذا الموضوع الخطير لا يزال مجال البحث ولم يصل
الى نتيجة نهائية بعد . وتغير نتائج الحفائر الجديدة الكثير من الآراء التقليدية

H. A. Winkler, Rock Drawings of Southern upper Egypt, (١)
1 (London, 1938), Pl xxxix.

H. Frankfort, The Origin of Monumental Architecture in (٢)
Egypt, American Journal of Semitic Languages and Literatures,
Vol. Lviii Oct. 1941, P. 335.

H. J. Kantor, Further Evidence for Early Mesopotamian Relation
With Egypt, Journal of Near Eastern Studies, Vol. Xl, Oct.,
1933, P. 250.

J. A. Wilson, The Burden of Egypt, Chicago, 1951, P. 38. (٣)

E. Fassinard, prehistoire et Protohistoire d'Egypte Paris, (٤)
1949. P. 231

التي اتخذها بعض المؤرخين كحقائق نهائية . وقد أعلن أخيرا الأستاذ W. Emery الذى قام بالحفر فى «بيانة الاسرتين الاولى والثانية فى شمال سقارة أن مكان دفن ملوك الاسرة الاولى هو فى سقارة بدلا من منطقة أبيدوس التى حفر فيها الأستاذ بـستري قمصر فى عصر حضارة جبرزه الاخير وهو آخر مرحلة من مراحل عصور ما قبل الاسرات فى مصر خرجت من نطاقها المحلى الى نطاق التجارة الخارجية وأدى ذلك الى الاتصال بفلسطين وكذلك بميزوبوتاميا .

وقد نشأت الحضارة المصرية من صميم البيئة المصرية (١) منذ عصر انتاج الطمسم وتاثر المصرى بهذا العامل المحلى وغيره من ذلك بكافة طرق التعمير المادى والمعنيسى وبالانابة الى هذا العامل المصرى الاساسى ، استعمار بعض العناصر الحضارية الفينيقية من فلسطين وميزوبوتاميا ، هذا بجانب بعض العناصر الاغريقية أيضا . ولم تكن هذه الاتصالات الحضارية والاقتصادية فى شكل غزو حرس بل كانت فى صورة اتصال تجارى وحضارى بحت . وكان ذلك فى فترة نماء عصور ما قبل الاسرات وبداية العصر التاريخى . وفى عصر حضارة المعادى اتصلت مصر بفلسطين تجاريا وحضاريا أيضا ويمكن اعتبار مجتمع حضارة المعادى متفوقا من النواحي الصناعية ومن النواحي الاجتماعية والروحية (٢) .

أما فيما يتعلق بعصور ما قبل الاسرات فى ميزوبوتاميا ففى تمثل فى عصر حضارة المبيد وفى عصر ما قبل الكتابة ، أى عصر حضارة الوركاء ، وعصر حضارة جمدة نصر . ويتميز عصر حضارة المبيد بأنه يظهر فى شمال وجنوب العراق . أما عصر حضارة المبيد الشمالية فقد عثر على آثاره فى ثبة كورا الطبقات ١٩ - ١٢ وشرى ١٢ - ١٠ فى حفرة وتسل حصونة ، الطبقات ١١ - ١٣ . ويتميز عصر حضارة المبيد بفخاره الملون وكذلك بالتأثيل الطينية الصغيرة . هذا بجانب الاوانى الحجرية والادوات العظمية . وفى ثبة كورا عثر الاثريون على مجموعة من المباني المماثلة . فهناك مباني ومعابد ومنازل ، وهذه الابنية مصنوعة من الآجر ولم يستخدم الحجر الا نادرا . أما فيما يتعلق بالمقابر فقد عثر فى طبقات

(١) احمد بدوى ، فى موكب الشمس ، الطبعة الثانية ١٩٥٥ ص ٣٩ وما بعدها .

(٢) بحث هذا الموضوع O. Menghin ومصطفى عامر وبرايم

احمد رزق الله .

O. Menghin and M. Amer. The Excavations of the Egyptian University in the Neolithic Site at Madi, vols. 1, 11 (Cairo, 1935).

ابراهيم احمد رزق الله ، الحضارات المصرية فى فجر التاريخ (الاسكندرية فى سنة ١٩٤٨) من ص ٢٢٢ - ص ٢٤٠ .

كورا أيضا على مقابر للاطفال وربما كان البالغون يدفنون في جبانات على السطح في
 قل التل. وفي بعض الاحيان يلاحظ أن هذه المقابر كانت مخطاة بالحصير. أما عن اتجاه
 سم المتوفى فمؤشر متفق، غالبية المقابر. أما فيما يتعلق بعصر حضارة المبيد الجنوبية
 لاحظ أنها تمثل أقدم حضارة في جنوب العراق القديم فهي تستقر على الارض البكر مباشرة.
 هم مواقع هذا العصر الحضارى تل أبو شدرين (أريدو) ويمثل مجموعة من المعابد في
 طبقات ١٨-١٦ بالإضافة الى جبانة. وتل المبيد يمثل بقايا قرية وعدد من المقابر أيضا،
 ذلك مواقع أور والحاج محمد بهانب الوركا. ومن أهم ما يميز حضارة المبيد الجنوبية
 فخار الملون ويميل لونه الى البنّي أو الاحمر. أما عن الرسوم الموجودة على الفخار فهي
 هندسية الشكل. وهناك أيضا التماثيل الطينية هذا بجانب الادوات النحاسية وخاصة
 مناجل الطينية التي على شكل الهلال، وكذلك الاواني النحاسية. ومن أهم آثار حضارة
 مبيد الجنوبية الآثار المعمارية وتتمثل في مجموعة كبيرة من المعابد. وهناك ارتباط
 نشأه كبير بين حضارة المبيد الشمالية وحضارة المبيد الجنوبية بما يؤيد انتمائهما الى
 صر حضارى واحد. ويبدو أن أصل هذه الحضارة قد جاء من ايران^(١) الى جنوب
 ميزوبوتاميا. وقد امتدت هذه الحضارة شمالا وجنوبا. وهذه الحقيقة تعطي هذا العصر صفة
 حضارية. جامعة للعراق القديم شماله وجنوبه. وبعد عصر حضارة المبيد احتفظ جنوب
 العراق القديم بالاولوية الحضارية على الشمال والعصر الحضارى التالى لعصر حضارة
 المبيد يعرف بعصر ما قبل الكتابة Protoliterate Period أى العصر الذى
 بدأ فيه المجتمع في التعرف بصورة أولية على التعبير عن أفكاره ولوازمه في الحياة بواسطة
 مدة رموز^(٢). وينقسم هذا العصر الى قسمين أساسيين، عصر حضارة الوركا وعصر حضارة
 جمدة نصر ويمثل عصر حضارة الوركا في المواقع التالية: الوركا وأور والمبيد. ومن أهم
 الآثار المعمارية من موقع الوركا أحد التلال في المربع رقم Kxvll والذي سماه الاثريون
 زاقورات آتواله السماء. والواقع أن هذا البناء لا يصح اعتباره زاقورات بل هو عبارة عن برج
 مدرج، وكذلك لا يوجد دليل يبين أن هذا البناء قد شيد للاله آتو، وقد بنى هذا المعبود
 من الآجر. ومن المعابد الشهيرة أيضا ماسى بالمعبود الابيض في موقع الوركا. ويتميز هذا
 المعبود كمعابد عصر حضارة المبيد بوجود الفجوات المنتظمة فيه. ولم يمتد في مواقع الوركا
 وجمدة نصر على مقابر تنتمى الى عصر حضارة الوركا. أما في كل من أور وخفاجه فقد عثر على بعض

(١) L. Perkins, The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia, (Chicago, 1949) P. 96.

(٢) I. J. Gelb, A Study of Writing, (London, 1952), P. 62.

مقاير صغيرة تنتمي الى هذا العصر. وقد أنتج هذا العصر الحضارى عدة صناعات حجرية ومعينية مثل، الاواني الحجرية وكذلك هناك الاختام الاسطوانية وأدوات الزينة . أما من ناحية النحت على الحائط والنحت المستدير فيمكن القول بأن أقدم أمثلة تبيين ذلك تنتمي الى عصر حضارة الوركاء . ويؤرخ عصر حضارة الوركاء بحوالى ٣٦٠٠ ق.م . والعصر الحضارى التالى له هو عصر ما قبل الكتابة فى مرحلته الاخيرة أى عصر حضارة جمدة نصر . وهذا العصر الحضارى يعتبر من أهم المصور الحضارية فى الشرق الأدنى القديم فهو يمثل المرحلة الاخيرة فى عصر ما قبل الاسرات فى ميزوبوتاميا . وقد أنتج هذا العصر الحضارى أمثلة مثقوقة فى العمارة ذات الفجوات المنتظمة . وقد عثر أيضا على عدد من اللوحات الطينية التى تحمل بعض الرموز الصورية وهذه الرموز مهدت بطبيعة الحال الى الكتابة السمارية فى بدايتها العصر التاريخى . ومن أهم ما يستحق انتباه المؤرخ أن موضوعات هذه المصور الاولى تتصل بحمل حسابات مختلفة منها ما يخص المعابد . وهذه الحقيقة تبيين بوضوح اتصال النواصى الاقتصادية بتطور الكتابة . ويعتبر ذلك تمهيدا قاطعا للعصر التالى فى تاريخ الانسانية فى الشرق الأدنى القديم وهو العصر التاريخى أو عصر المدنية .

ويمكن القول أن التوصل الى الكتابة قد خلق نوعا جديدا من الحياة فى المجتمع وساعد ذلك على تنظيم مختلف النواحي السياسية والاقتصادية ، ومن الناحية السياسية كانت ميزوبوتاميا تتكون فى هذه الفترة من عدد من المدن ، كل واحدة منها تحكمها حكومة معينة . ولم تصل ميزوبوتاميا الى مرحلة الوحدة السياسية الكاملة فى ذلك الوقت ، ولكن مصر تمكنت فى بداية العصر التاريخى من توحيد مصر العليا والسفلى والظهور كوطن واحد ذو حكومة واحدة . وقد اتجه بعض المؤرخين وخاصة T. Jacobsen الى القول بأن ميزوبوتاميا فى مرحلتها الاولى هذه أى فى نهاية عصر ما قبل الكتابة وبداية العصر التاريخى توصلت الى نوع من التفكير "الديمقراطى البدائى" (١) فى نظام الحكم . وهذا النوع من التفكير نشأ مع تطور التفكير الجماعى أثناء مرحلة التحكم فى مياه الانبار مما أدى الى ضرورة وجود نوع من التنظيم الاجتماعى للمجتمع . وكان لصالح البيئة أثره الكبير فى تطور هذا التفكير وانعكاسه بصورة عملية فى نظام الحكم . فكانت لكل مدينة جمعية عمومية من رجالها الاحرار البالغين وهناك أيضا مجلس للاكابر ، وفى وقت الازمات يعين رئيس أو ملك . والواقع أن ذلك النظام كان فى صميم العصر التاريخى ولكن يبدو أنه بدأ فى التكوين قرب نهايته

T. Jacobsen, "Primitive Democracy in ancient Mesopotamia," (١)
Journal of Near Eastern Studies, vol. 2, July, 1943.

عصر ما قبل الكتابة . ويؤرخ هذا العصر الحضارى الميام بحوالى سنة ٣٥٠٠ ق.م . وهناك أدلة تبين أن أصحاب هذا العصر الحضارى هم السومريون . وهناك أيضا بعض الأدلة للغة السومرية على وجود بقايا لغة ما قبل السومرية فى ذلك الوقت فى جنوب ميزوبوتاميا .

وقد سبقت الإشارة الى الاتصالات الحضارية والتجارية التى حدثت بين مصر فى عصر حضارة جرزة الاخيرة وبين العراق القديم فى عصر ما قبل الكتابة . ولا شك أن الحفائر فى المستقبل ستضيف الكثير من الحقائق فى هذا الموضوع . والوصول الى نتائج نهائية فى هذه المرحلة من حيث القول بأسبعية العراق القديم على مصر فى الانتقال بالانسانية الى مرحلة المدنية لا يزال فى حاجة الى تفعيم نهائى بالأدلة المختلفة . وقد تفوقت كل من مصر والعراق القديم فى بعض النواحي الحضارية . ومن الناحية التقويمية لا يزال هذا الموضوع أيضا فى حاجة الى إعادة النظر فيه .

أما عن كيفية بداية العصر التاريخى فى كل من مصر والعراق القديم ، فقد جاء ذلك كنتيجة طبيعية لمختلف نواحي التطور المادى والفكرى وظهر ذلك فى مصر بالوصول الى مرحلة الوحدة السياسية الكاملة وهما تبدأ الأسرة الاولى المصرية الفرعونية .

أما فى العراق القديم فقد اتخذ السومريون حادثة الفيضان كعامل تاريخى هام فى تاريخ الملوك السومريين . وقد قسمت وثيقة الملوك السومرية الملوك السومريين الى ملوك ما قبل الفيضان ، وملوك ما بعد الفيضان ومن الناحية الاثرية هناك أدلة أثرية تبين حدوث فيضان قرب نهاية عصر حضارة جمدة نصر . وهذه الحادثة لها أهمية لان ذلك العصر هو الذى سبق بداية العصر التاريخى مباشرة . وظاهرة الفيضان مستمرة بصورة واضحة فى جنوب العراق القديم . ومن الفيضانات الشهيرة ما حدث فى عصر حضارة المبيد وقد وجد الاستاذ وولى Dr. Woolley طبقة من الطين التظيف خلال الطبقة الخاصة بحضارة المبيد فى أور . واستمر وولى فى الحفر فعرى بعد ذلك على أدلة أثرية من عصر حضارة المبيد أيضا فعمل وجود طبقة الطين التظيف هذه أو الخرين أنه يعتبر دليلا على حدوث فيضان فى هذه المنطقة فى ذلك الوقت . وقد تحدثت الاساطير السومرية على ظاهرة الفيضان هذه . وهناك أيضا نوع من التشابه الموضوعى النسبى بين وثيقة الملوك السومريين وبين النسخ المسمى الخاص بالمشرة أسلاف من آدم الى نوح .

من ذلك كله يتبين أن الشرق الادنى القديم ، وخاصة ميزوبوتاميا ومصر ، قلم بدور هام فى تاريخ الانسانية ، وفى الفترة السابقة للعصر التاريخى ، قبل أى مكان آخر فى العالم ، فقد تمكن الانسان فى كل من مصر والعراق القديم من الانتقال بالحياة الانسانية من جمع الطعام

انتاجه وأيضاً في الانتقال الى عصر المدنية . ويلاحظ المؤرخ أن الاسس الاولى التي قام بها التطور في حضارات مصر ما قبل الاسرات في مصر وميزوتاميا كـ كونت في الواقع الاساس ادى والفكرى للمدنيات المصرية والسومرية والأكادية في بداية العصر التاريخي . وفيما يلي إسهام الموقف الحضاري في الاقليم السوري قبل بداية العصر التاريخي .

الاقليم السوري في عصور ما قبل التاريخ ابتداءً من مرحلة العصر الحجري الحديث حتى بداية العصر التاريخي

فأول حقيقة تواجه الدارس لطبيعة منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة منطقة للال الخصيب هي وجود نهري دجلة والفرات في الشرق ونهر النيل في الجنوب الغربي سري الاردن والعماس بينهما أي بمعنى آخر تكون منطقة سهلية نسبياً خصبة تشتمل على للال في شكلها وعلى الرغم من اختلاف طبيعة هذه الانهار من حيث مواعيد فيضانها ومدى نظامها إلا أنها كانت بمثابة نوع من القوى الطبيعية التي واجهت الانسان والتي لم تكن مراعياً ككفاحه معها بعض الظواهر الطبيعية الاخرى مثل ارتباط هذه الانهار بالحياة راعية البرية على جانبي النهر وارتباط هذه المياه بطبيعة الحال بحياة الحيوان والانسان نهسات .

وبعد عدة تجارب وكفاح بين الانسان والبيئة أو بصفة خاصة هذه الانهار نجح في تصرف على بعض اسرار هذه الطبيعة وهي كيفية نمو وازدهار الحياة الزراعية ونجح في كشف الزراعة وكان هذا النجاح بمثابة ثروة خطيرة في حياته الجديدة التي لم يألفها قبل . توصل الانسان الى ذلك الاكتشاف في حوالي الالف السادس ق.م . وللمرر تصر هذا التوصل على مصر أو العراق القديم بل أيضاً توصل اليه الانسان في سوريا وفلسطين يزان في نفس الوقت وعلى ذلك فقد كانت القدرة الحضارية بين مختلف مناطق الشرق الأدنى القديم موجودة منذ البداية . وعلى الرغم من وجود هذا التشابه في مختلف اجزاء هذه المنطقة إلا أن هذه القدرة الحضارية في التوصل الى حياة الاستقرار والانشاء كانت بعة من البيئة المحلية لا تختلف من حيث تطورها من منطقة لاخرى .

وسوريا تمثل جزءاً هاماً في هذه المنطقة منطقة اللال الخصيب واستمرت في أهميتها هذه المنطقة حتى الوقت الحاضر فهي جزء رئيسي متوسط بين أجزاء هذه المنطقة لشرقية وأجزاءها الغربية ، ولذلك كانت سوريا منذ البداية تمثل نوعاً من حلقة الاتصال بين حوري المنطقة الرئيسيين وهما مصر والعراق القديم .

وتمبير سوريا هنا لا يقصد به الاقديم الذى تحدده الحدود السياسية الحالية المقصود بسوريا هو سوريا بحدودها الطبيعية التى تمتد شمالا حتى جبال طوروس فقس طقة قيليقيما وجنوبا حتى شمال فلسطين وغربا يحدّها البحر الابيض المتوسط متضمنةً يـم الاسكندرونة بطبيعة الحال وشرقا نهر الفرات واقليم الجزيرة . وقد كان لموقعها ا أثره البالغ فى تشكيل وتوجيه تاريخ وحضارة الاقليم السوري ، سوريا تحدها من الشرق طقة ميزوبوتاميا ذات المكانة السياسية والحضارية منذ العصر الحجري الحديث وأثناء عصر التاريخ ، ومن الشمال منطقة الاناضول مركز المدينة الحيثية أثناء الالف الثاني ق م ، الجنوب فلسطين ومصر بطبيعة الحال ذات المدينة الفرعونية الاصلية . وعلى ذلك فسوريا بين هذه المراكز الحضارية السالفة الذكر وكان لابد أن تتأثر بها فى صورة مباشرة غير مباشرة . والدارس لتاريخ سوريا منذ العصر الحجري الحديث وأثناء العصر التاريخي من تماما هذا الاتصال الكامل بين سوريا من ناحية وبين هذه القوى الحضارية والسياسية جاورة لها من ناحية أخرى . ولذلك لم تتمكن سوريا من تكوين دولة سورية ذات كيان اى مستقل بمعنى الكلمة . باستثناء بعض الفترات . لان طبيعة وجودها بين هذه قوى المحيطة جعلتها بمثابة امتداد طبيعي لمعبرى الال الخصيب . ولا تقتصر الصلة حتمة فى تاريخ سوريا فيما بينها وبين بقية أجزاء الشرق الادنى القديم على الناحية سياسية والناحية الحضارية والناحية الاقتصادية بل أيضا على الناحية البشرية . فقد تميزت طقة الشرق الادنى القديم بوجود عدد من التحركات البشرية السامية والمهندية الأوروبية فترات مختلفة وكانت بعض هذه التحركات تمر بالاقليم السوري تاركة بعض العناصر ثقاليـد الحضارية المختلفة التى تنتمى الى هذه العائلات البشرية التى مرت أو احتقرت قس ا الاقليم .

وتاريخ سوريا منذ العصر الحجري الحديث وأثناء العصر التاريخي يعتبر صورة بعة لهذه الملاحظات السابقة الذكر من حيث صلتها الكاملة بالمناطق المحيطة بالاقليم مورى سواء كان ذلك من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الحضارية أو البشرية .

وليس معنى ذلك عدم وجود شخصية حضارية سورية مستقلة ، فالدارس لهذا الاقليم من وجود هذه الشخصية فى بعض الصناعات والفنون المحلية ولكنها فى جزء كبير من تاريخها نرت بالعناصر الحضارية السياسية "قوية المجاورة لها . ولا يقتصر اتصال سوريا خارجى على مصر والفرات القديم والاناضول بل أيضا هناك اتصالها بفلسطين وقبرص يت ، فهى تمثل احدى النوازل التى أطلقت منها حضارة انغول بعض العناصر الميزوبوتامية ايرانية .

ويبدأ الكاتب دراسته الموجزة من هذا الاقليم بدراسة حضارات ما قبل التاريخ
ابتداءً من العصر الحجري الحديث حتى بداية العصر التاريخي .

فإن علماء الآثار والأنثروبولوجيا والتاريخ القديم بالبحث في الاقليم السوري عن أقدم
مراحل الاستقرار أو بمعنى أصح أقدم القرى في هذا الاقليم . واتجه العلماء في بحثهم
هذا الى المناطق المتاخمة للأنهار أو تجمعات المياه على أساس احتمال نشأة القرى الأولى
فيها أو بالقرب منها . ومن هذه المناطق منطقة تقع في شمال سوريا قرب مصب نهـر
الخابر وهي منطقة الحمق . Amouq وهي منطقة جمعت بين السبل والاوديسة
والمستنقعات والتلال وعلى الرغم من أن هذه المنطقة توجد بها بحيرة في الوقت الحاضر
تصرف باسم بحيرة الحمق إلا أنه في العصور القديمة لم يكن لها وجود كما أن المستنقعات
الحالية المحيطة بالمنطقة لم يكن لها أيضاً وجود في تلك الفترة . وهذه المنطقة كانت من
أهم مناطق الاستقرار الأول في سوريا . ويبلغ عدد التلال التي تمثل بعض مراحل الاستقرار في
هذه المنطقة بحوالي المئتي تل . ولم يقتصر الإنسان على الاستقرار في هذه المنطقة
فقط بل هناك مناطق أخرى في مرسين وطرشوس في منطقة قيليقيا وهناك أيضاً مناطق حمص
ورأس شمرا (أوكرات) وجبيل وقرقيش (جراش) . وسيقتدر الكاتب هنا على دراسة
منطقة الحمق .

وقد اتخذ بعض العلماء هذه المنطقة بالذات كنموذج يبين في دراسة طبقات تلاله
التطورات التاريخية منذ مراحل الاستقرار الأولى . وفي الجدول المرفق بيان هذه المراحل
منذ العصر الحجري الحديث حتى بداية العصر التاريخي مع ذكر المراحل المعاصرة
لها في كل من مصر والعراق، التدمر وفلسطين .

وأول ملاحظة في دراسة الانتاج الحضاري منذ العصر الحجري الحديث هو وجوده
في طبقات التلال، كل طبقة منها تمثل مرحلة من مراحل الاستقرار هذه الظاهرة ظاهرة
الطبقات الاجتماعية والعلماء في دراسة مختلف النواحي التراث الاثرية في منطقة جنوب غربي
آسيا بصفتها خاصة لكثرة التلال والاكوام والشبث فيها والتي تمثل تاريخ الانسان في هذه المنطقة
مجسماً في صورة أدلة أثرية مختلفة . ويعمل علماء الآثار في دراسة طبقات هذه التلال على
أقدمها من الطبقات وحتى المتاخمة مباشرة للأرض البكر أي التي لم يحدث عليها أي استقرار

وأول هذه الطبقات هي بحدوث تلال منطقة الحمق تمثل مرحلة المصنعة الصناعية
الأولى أو بالأحرى مرحلة العصر الحجري الحديث أي مرحلة التوصل الى الزراعة
والاستقرار . إن أول قرية في الاقليم وهذه المرحلة تصرف باسم الحمق . وقد اتبع العلماء

التقسيم الابجدي لحضارات الانسان على أساس تسهيل مهمة الباحث في تقسيمها
بني شيئاً آخر غير كونه تعبيراً متداولاً بين علماء مجتمعات ما قبل التاريخ . وقد عثر
ريون ضمن آثار هذه المرحلة الاولى على بقايا الآثار المعمارية ودى المنازل . ويلاحظ أنها
تتبع مبنية من الحجر وفي بعض الحالات المنتمية الى هذه المرحلة والتي عثر عليها في مرمسين
تتبع مبنية من اللبن ، كما كانت هناك معالم الاستقرار أيضاً ليس فقط في هذه الآثار المعمارية
في الكشوف التي قتلن الانسان على أرضيتها وترك آثاره ومخلفاته فيها . وهذه المباني
اتخذت الشكل الاقرب الى المستطيل ، ويلاحظ أيضاً أن أرنمية حجراتها قد طليت
ببر . ولا يمكن للمؤرخ اناء هذه الحقيقة أن يغفل ماسبق أن لمسه في مجتمعات
لك في ايران وجارمو وتل حصونة في العراق ، ومرومة بني سلامة في مصر من حيث توصلها
ما الى مرحلة الاستقرار الاولى ، ولكن مع احتفاظ كل منطقة بوحدها الحضارية
زاتها المستوحاة من البيئة المحلية في ذلك الوقت .

وبجانب هذه الآثار المعمارية هناك آثار الصناعة الزراعية التي صنعها الانسان
جته اليها في مجتمع الزراعة الجديد وأهم هذه الآثار الفخوس والمناجل الحجرية
جران والمخازن . وعلى الرغم من العثور على جميع هذه الأدلة الاثرية التي تثبت توصل
سان الى مرحلة الزراعة الا أنه لم يحثر في طبقات هذه المرحلة على القمح . ومن أهم
الانسان في هذه المرحلة أيضاً الصناعة الفخارية وصناعة الادوات والاواني الحجرية
نظمية . وعلى الرغم من وجود دلائل الاستقرار وانشاء قرى الاولى في هذه المرحلة
مرحلة العصر الحجري الحديث الا أن هذه القرى الاولى ليست بالدرجة الثالثة
وصلت اليها كلاً من مصر والعراق ، التدميم فلم يشتر على أي آثار مقابر في هذه الطبقة
انه من ناحية أخرى هناك اهتمام من بعض المؤرخين يميل الى اعتبار بداية وجود نسوع
التأثير الحضاري "ميزوبوتامي في عصر حضارة تل حصونة في نهاية هذه المرحلة الحضارية
أثناء المرحلة الحضارية الثانية العمق ب . وهذه المرحلة الثانية العمق ب تعتبر تكملة
ور الانسان في المرحلة السابقة . وتجدر الإشارة هنا الى موضوع هام وعمودى أصلية
ه الحضارة في هذه المرحلة وما يليها . وهذا الموضوع فيما يتصلق بسوريا يظهر من
اية أي منذ المرحلة المعمارية الاولى لان هذه المرحلة تمثل أول مراحل تكون الحضارة
متقرة محتدمة على الامكانيات المحلية "سواء كان ذلك يتعلق بحضارة العصر الحجري
ديت في مصر أو حضارة هذه العصر في العراق القديم ، ولكن على الرغم من توفر هذا
امل المحلي في الحضارات السورية الا انه يظهر بوضوح عامل التأثيرات الاجنبية
تأثيرات حضارة تل حصونة في صميم المرحلة الثانية وتأثير حضارة حلف في المرحلة

الحضارية الثالثة وتأثير حضارة المعبود الشمالية في المرحلة الحضارية الخامسة العميق هـ
وهكذا . وليس معنى ذلك عدم أصالة هذه الحضارة بل اعتمادها على عدد من المؤثرات
الاجنبية في مراحل تكوينها بالإضافة الى التأثيرات المحلية الصرفة . وتلى هذه المرحلة
الحضارية الثانية المراحل التالية وهي العمق جـ ، والعمق د ، والعمق هـ ، والعمق و كما
هو موضح بالجدول التقويى المقارن الملحق .

وفي هذه المراحل جميعا ودى المراحل السابقة للمصر التاريخى الذى يتميز
المرحلة السابقة ز هـ حابر الانسان في سوريا التطورات الحضارية التى برزت في كل مسمى
مصر والعراق القديم بصفة خاصة وذلك فيما يتعلق بالصناعات الفخارية والصناعات الحجرية
وعمليات بناء المنازل والمخازن ، وغيرها من دلائل الاستقرار وعلى سبيل الذكر بدأ استعمال
عجلة الفخار في المرحلة الحضارية السادسة العمق و هـ كما بدأ أيضا استخدام الآجر
المنتظم في البناء في المرحلة السابقة مباشرة للمصر التاريخى .

ومن المزم الاشارة هنا الى ظاهرة ميزت نهاية عصر ما قبل الاصرات وبداية
المصر التاريخى في الشرق الادنى القديم هذه الظاهرة هي الصلات الدولية في المجال
الاقتصادى والتجارى والحضارى في منطقة الشرق الادنى القديم . وهذه الناحية
الدولية ظهرت بصفة خاصة في العصر المعروف باسم ما قبل الكتابة في مرحلته الاخيرة أى في
مرحلة عصر حضارة جمدة ندر المعاصرة لمرحلة حضارة جرزة الاخيرة أو نقادة الثانية
في مصر والمعاصرة للمرحلة الحضارية العمق و فى سوريا وقد دأمر نوع من الصلات الحضارية
والتجارية أيضا بين ميزوبوتاميا ومصر متخذة الطريق البصرى في تحقيقها والصلات الحضارية
والتجارية أيضا بين فلسطين ومصر خاصة في عصر حضارة المهادى . وموقف سوريا في هذا
العصر الدولى المبكر والسابق مباشرة للمصر التاريخى هو الاشتراك في هذه الصلات
والتأثيرات الدولية وخاصة من ناحية ميزوبوتاميا وأيضاً مصر . وهذه الدلائل تتطور في العصر
التاريخى على نطاق واسع .

وفيما يلى دراسة للمراحل السابقة للمصدر التاريخى في الحضبة الايرانية .

دراسة حضارات ايران في عصر ما قبل التاريخ ابتداء من مرحلة العصر الحجري
الحديث مع مقارنتها بميزوبوتاميا ومصر .

عاش الانسان في هذه البيئة الايرانية الجبلية هـ بصفة خاصة في أعلى المضيق
واتجه الى سكنى الودية بعد ذلك هـ وخلال حياته في هذه المناطق مر بمراحل تطور جملة

الإنسان من العصر الحجري القديم أي عصر جمع الطعام إلى مرحلة الثورة الصناعية الأولى أي التوصل إلى بداية الزراعة والاستقرار وانتاج اللحام وصنع الأدوات الزراعية . وقصد أدي ذلك إلى وجود سلوك انساني جديد يتصل بنواحي تفكيره في مجتمعه الجديد . وأدت هذه الثورة الصناعية الأولى التي ظهرت لأول مرة في حياة الإنسان في منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة في العراق القديم ومصر وكذلك في شمال سوريا وإيران . أقول أدت هذه الثورة إلى الانتقال بحياة الإنسان إلى العصر المنسوق باسم العصر الحجري الحديث أو عصر انتاج الطعام . وعلى ذلك يتبين أن إيران كان لها دورها البالغ في هذه المرحلة الأولى من مراحل استقرار الإنسان . فالدراسة المقارنة للانتاج الانساني لحضارات كل من مصر وميزوبوتاميا وسوريا وإيران تبين أن إيران قد قدمت إلى الانسانية عدة أدلة تبين امكانياتها الحضارية في تلك المرحلة الرابعة من حياة الإنسان ومن أهم مميزات إيران في تلك المرحلة وهي مرحلة العصر الحجري الحديث بنى توصلها لأول مرة في حياة الإنسان إلى استخدام معدن النحاس على الرغم من عدم توصل الحضارات الاصلية المتبارزة مثل حضارات العصر الحجري الحديث في ميزوبوتاميا ومصر وسوريا إلى استخدام هذا المعدن أثناء هذا العصر المعطى بـ Chaleolithic وتوصل العلماء إلى هذه الحقيقة الرابعة بعد مقارنة الأدلة الاثرية في أقدم مراكز حضارات العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الأدنى القديم . وفيها يلبي ملخص لهذه الدراسة المقارنة .

من ناحية الآثار النباتية يمكن تلخيصها في الجدول التالي ^(١) بالنسبة لحضارات القيم أ ومردة بنى سلامة في مصر وبارمو وسنونة في العراق القديم وجديدة في سوريا وسيلك في إيران :

المكان	القمح	المناجل	الاجران	مخازن قمح	نقوش
القيم أ ومردة وحلوان العمري ودير تاسكا	✓	✓	✓	✓	✓
جديدة	✓	✓	✓	✓	✓
حسنونة ^(٢)	✓	✓	✓	✓	✓
سيلك	✓	✓	✓	✓	✓

(١) R. Braidwood, Prehistoric Man, Chicago, 1948, p. 23

(٢) معنى هذه العلامة يحتمل وجوده .

ومن هذا الجدول يتبين أن حضارة سيالك I قد تمكنت من التوصل إلى صناعة الأدوات المتصلة اتصالاً مباشراً بالزراعة مثل المناجل والجران .

وقد أثنى الأستاذ R. Chirshman^(١) (جيرشمان) إلى القول بأن القمح كان ينمو في إيران بصورة برية وربما أدت كثرة نموه هذا إلى انتشاره في الأقطار المجاورة ومنها مصر . والواقع أن مصر قد توصلت إلى إنتاج القمح أي إلى زراعته توصلًا محليًا صرفًا في عصر حضارة الفيوم كما تدل على ذلك الأدلة الأثرية التابعة لهذا العصر الحضارى . أما فيما يتعلق بعدم العثور على القمح المزروع في مصر حضارة سيالك I ربما يتخذ به بعض المؤرخين كدليل على عدم توصل مجتمع حضارة سيالك I إلى مرحلة الإنتاج الزراعى . ولكن من ناحية أخرى تجدر الإشارة إلى أن هذا المجتمع قد توصل إلى صناعة الأدوات المتصلة بالزراعة مثل المناجل والفقوس . هذا مع العلم أيضا بأن هذه الأدوات الزراعية يمكن استخدامها لحصد وقطع النباتات البرية . وعلى ذلك لا يمكن الجزم بأن عصر حضارة سيالك I قد توصل فعلاً إلى مرحلة الانتاج الزراعى لعدم وجود المحصول الزراعى ذاته . ولكن تثوق هذه الحضارة في الصناعات الفخارية وصناعة الأدوات الزراعية بجانب انفرادها باستخدام المساند كأول حضارة في هذا المجال أثناء مرحلة العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الأدنى القديم ، أقول ثقرة ، هذه الحضارة ليؤخذ دليلاً على امتثال توصلها إلى زراعة القمح رغم عدم العثور عليه حتى الآن . ربما لأسباب ترتبط برطوبة الجو .

ويمكن تلخيص كل من الآثار النيوانية والمعدنية والصناعية في الجدول التالي :-

المكان	الأغنام	الكلب	الخنزير	الماشية	الفخار	النحاس	منسوجات	أدوات عظيمة	التماثيل
الفيوم مرمدة حلوان ديرتاسا	✓	✓	✓	✓	✓	—	✓	✓	—
جديدة	—	—	✓	✓	✓	—	—	✓	—
حمولة	✓	—	✓	✓	✓	—	—	✓	✓
سيالك	✓	—	—	✓	✓	✓	—	✓	✓

من ذلك يتبين أن سيالك I قد تمكنت من التوصل إلى صناعة الاواني الفخارية والأدوات

R. Chirshman, Iran, (Great Britain), 1954, P. 35.

(١)

معنى هذه العلامة يحتمل وجوده

حيث والملك الحسية والحجرية . ومن ناحية البقايا الحيوانية عثر على بقايا الاغنام ويحتسب
 الابقار وهذا يبطل عصر حضارة سيالك I في مستوى قريب جدا من مستوى حضارة
 (أ) ومدة بنى سلامة في مصر وجديدة في سوريا وتل حمرنة في العراق القديم .
 سة بقايا الادلة الاثرية في هذه الحضارات تدل على تمكن حضارة ما الى التوصل الى
 الانتاج الحضارى بينما لم تتوصل حضارة أخرى ماصرة الى بعض هذه النواحي
 الا يمنع من احتمال العثور على أدلة أثرية أخرى يستكمل بها المستوى الحضارى
 درهنا اعادة ذكر الحقيقة الخاصة بتوصل عصر حضارة سيالك I الى مرحلة استخدام معدن
 ناس في الصناعة قبل غيرها من الحضارات الماصرة مما يعطى هذا العصر الحضارى نوعا
 الاولوية تؤخذ في الاعتبار عند دراسة هذه الحضارات بصورة مقارنة .

أما من ناحية بقايا الآثار المعمارية فيمكن القول بأن جميع هذه الحضارات السابقة
 توصلت الى مرحلة بناء المنازل وبالتالي انشاء الترى مما يؤكد توصلنا جميعا الى مرحلة
 استقرار الكامل الذى يتميز به العصر الحجري الحديث .

يتبين من هذه الدراسة المقارنة لعصر حضارات العصر الحجري الحديث في منطقة
 شرق الادنى القديم أن عصر حضارة سيالك الاولى يعتبر أقدم مرحلة استقرار في البضبة
 الإيرانية . وقد سمى هذا العصر عصر سيالك نسبة الى ثبة سيالك الموجودة في شمال
 بطة البضبة الإيرانية . وتوجد حضارات أخرى تمثل مرحلة العصر الحجري الحديث في
 بطة الإيرانية بجانب سيالك 1 مثل عصر حضارة باكون 1 ومثل حضارة كشمه على 1 أ
 تى تمتد أيضا خلال عصر استخدام النحاس والحجر إلى المرحلة التالية للعصر الحجري
 حديث . وهناك حضارة ببيان ٢ أ . (انظر الجدول التقويمى المتأرن المرفق) . وكذلك
 أنظر الخريطة المبينة لمواقع عصر ما قبل الاسرات في البضبة الإيرانية والمناطق المحيطة) .

ولقد مرت ايران كما سبقت الاشارة بمراحل التطور الحضارى السابقة للعصر التاريخى
 ي بمراحل العصر الحجري الحديث وعصور ما قبل الاسرات مما مهد الى بداية العصر التاريخى
 خاصة في منطقة عيلام في نفس الوقت الذى بدأ فيه العصر التاريخى في العراق القديم
 قريبا . ويمكن تتبع حضارات عصور ما قبل التاريخ في البضبة الإيرانية في كل موقع من مواقع
 هذه البضبة أى طبقات التلال الموجودة في المنطقة . ولئن يقتصر الكاتب هنا على معالجة
 انتاج هذه المواقع الحضارية بطريقة موضوعية . وعلى ذلك يمكن عصر الانتاج الحضارى
 الايرانى ابتداء من العصر الحجري الحديث حتى نهاية عصور ما قبل الاسرات في المراحل
 الآتية . وتقابل هذه المراحل العصور الحضارية المعروفة في مصر والعراق القديم ابتداء من

العصر الحجري الحديث حتى نهاية حقبة ما قبل الاسرات . ويجسد الباحث هنا أن يذكر أن منطقة الشرق الأدنى القديم تكون وحدة حضارية شامة في حياة الانسان وقد اعتبر المؤرخون كل من مصر والعراق القديم كمحورين أساسيين في هذه المنطقة يمكن قياس المستوى الحضاري في هذه المنطقة على أساسهما . وعلى ذلك يتجه الكاتب الى مقارنة المادة الاثرية في حضارات المضيبة الايرانية بانتاج كل من مصر وميزوبوتاميا حتى يمكن وضع انتاج حضارات ايران في مكانها المناسب بين حضارات بقية منطقة الشرق الأدنى القديم .

ففي كل من مصر والعراق القديم بدأت مرحلة الاستقرار تظهر على حافة المضياب المؤدية الى اودية الانبار . وتمكن الانسان في هذه المرحلة من صنع الادوات اللازمة لسه في حياته الجديدة الزراعية والصناعية وكان اتصاله الخارجي في ذلك اتصالا محدودا مما أدى الى اعتماده على تجاربه الجديدة في بيئته التي استقر فيها بالاضافة الى بعض التجارب المتوارثة قبل استقراره في هذا المكان . وقد أعطى ذلك الى حضارته في تلك المرحلة الطابع المحلي الصرف مما أدى الى تميز كل منطقة من المناطق بطابعها الحضاري الخاص بها . ثم بدأت بعد ذلك هذه الحضارات في الاتصال ببعضها البعض الآخر والنمو تدريجيا الى أن تمكنت من اتخاذ طابع أوسع نطاقا من طابع المنطقة المحلية الصرفة . فقد نمت القرى والمدن الصغيرة بدرجة أوسع نطاقا من قبل ثم تطورت بعد ذلك الى مناطق حضارية وبالتالي الى اسلوب حضاري واحد منتشر في أكثر من منطقة ثم الى الوحدة الحضارية في بداية العصر التاريخي . وقد مرت ايران بنفس الاتجاه ، فيلاحظ الدارس لحضارات ايران ابتداء من العصر الحجري الحديث انه يمكن تقسيمها من الناحية الحضارية الى خمسة مناطق لكل منها طابعها الحضاري الخاص بها . وهذا يشبه لحد كبير مع الفارق - الاوضاع الحضارية في العراق القديم ابتداء من العصر الحجري الحديث حيث كان النشاط الحضاري واضحا في شمال العراق ومحمدا في جنوبه ، ولكن منذ بداية عصر ما قبل الاسرات أي منذ مصر حضارة المهيبة فقد بدأت الحضارات الجنوبية في الظهور بجانبيها الشمالية وكذلك نعم الحالة في مصر العليا والسفلى . أما المناطق الحضارية في المضيبة الايرانية فهي :-

- (١) شمال وسط المضيبة الايرانية وتشمل منطقة ثبة سيالك وكشمه على وتل حمار .
- (٢) المنطقة الجنوبية الواقعة ما بين بحر آرال وبحر قزوين وتتمثل في موقع أنساو .
- (٣) شمال ، وشمال غرب ايران وهي منطقة بحيرة فان وتشمل شاميرا ملتي وثبة تلكي .
- (٤) جنوب وجنوب غرب ايران وهي منطقة تسيل باكسون .
- (٥) جنوب شرق المضيبة الايرانية وهي منطقة بلوخستان والسند وتشمل نال وبامبوره وموخنودارو وچارابسا .

وتختلف التطورات الحضارية من منطقة لأخرى في هذه المناطق السالفة وذلك لاجتماع بيئة وحرية . ويلاحظ الدارس لحضارات هذه المناطق تنكس بعضها من التوصل الى مرحلة العصر الحجري الحديث في نفس الوقت الذي توصلت اليه كل من عصر حضارة جارمو وحسونة في العراق القديم والغميم أ ومردة بنى سلامة وحلوان العمرى ودير تاسا في مصر العليا وبعض هذه المناطق الموجودة في الهضبة الإيرانية لم تتمكن من الوصول الى هذه المرحلة في نفس الوقت ولكن دراسة الأدلة الأثرية في طبقاتها الأولى تبين توصل هذه الحضارات الى مراحل تالية لمرحلة العصر الحجري الحديث .

ومن ناحية أخرى يلاحظ الدارس أن بعض هذه المناطق تمكنت من إنتاج أمثلة حضارية ابتداء من مرحلة العصر الحجري الحديث ولكنها توقفت بعد ذلك . من ذلك ربما يكون مناسباً دراسة حضارات الهضبة الإيرانية في مواقعها ومناطقها المختلفة السالفة الذكر على أساس تطورها الحضارى حتى يمكن تتبع هذا التطور . وهذا لا يعنى الانقاص من قدر دراسة كل منطقة من المناطق على حدة فهذه الدراسة الأخيرة تبين المميزات الأساسية لكل منطقة والعوامل الحضارية المؤثرة فيها . وسيلاول الكاتب عند دراسة المراحل الحضارية الالمام بهذه المميزات الخاصة بكافة هذه المناطق الحضارية مع مقارنتها .

المرحلة الحضارية الأولى

تمثل هذه المرحلة أقدم مراحل الاستقرار في منطقة الهضبة الإيرانية أى مرحلة العصر الحجري الحديث أو مرحلة إنتاج الطعام وما يتصل به من الصناعات اللازمة للزراعة وبناء القرى والاستقرار . وتؤرخ هذه المرحلة بحوالى ٥٠٠٠ ق م . وهو نفس الوقت الذى تؤرخ به حضارات العصر الحجري الحديث في مصر وميزوبوتاميا . وتتمثل هذه المرحلة فى حضارات سيالك Stalk I 1 وباكون Bakun B 1 وجيان Giyan وعصر حضارة أنار Anau وكشمه على Chashmah ali وقد سبق الإشارة في بداية هذا المقال الى بعض المظاهر الحضارية التى تتميز مرحلة العصر الحجري الحديث فى الهضبة الإيرانية . ومن أهم الأدلة الأثرية التى يعتمد عليها المؤرخ فى دراسة المصهور السابقة للعصر التاريخي ابتداء من العصر الحجري الحديث الأوانى الفخارية التى يحتاج اليها الإنسان فى مرحلة إنتاج الطعام . وتختلف صناعة هذه الأوانى الفخارية من منطقة الى أخرى من نواحى الشكل والمادة الطينية والصناعة . وأيضاً التلوين والزخرفة . وقد حاول العلماء تمييز الحضارات على أساس تطور صناعة الفخار وقد اتجه المؤرخين الى تقويم الحضارة على أساس التطور . التى يمكن ملاحظتها فى الصناعة الفخارية وتعتمد هذه الدراسة

المقارنة ليس فقط على الفن الصناعى Technique ولكن أيضا على أساس الكمية التى وجدت فى المواقع الأثرية . وفخار سيالك I يحمل بعض اللون الأحمر المصقول نسبيا والمطلسى باللون الأسود وبعضه اللون البنى الفاتح أو البرتقالى Buff ware . ويلاحظ وجود خطوط سوداء على الفخار الأحمر . ويمكن تفسير ذلك باحتمال تآليد الصانع لهذه الأوانى الفخارية لبعض الأوانى المصنوعة من الخوص أو الأغصان .

ومن أهم المظاهر الحضارية التى تميز هذه المرحلة الأولى من مراحل الاستقرار فى الهضبة الإيرانية بناء المنازل فقد عثر على بقايا حيطان وأرضية المنازل التى بنيت فى بدايات الأمر من أصفان الأشجار ولكنها كسيت بالكتل الطينية حتى تساعد على تماسكها وبالتالى تكون بمثابة حيطان لهذا المنزل الأول . وقد اتخذت هذه المنازل الشكل المستطيل فى تخطيطها . وما يسترعى التباه المؤرخ فى هذه المرحلة من تطور حياة الإنسان بقايا المنازل الأولى التى عثر عليها فى مرمدة بنى سلامة غرب فرع رشيد وتتميز بوجود الكتل الطينية Lumps of mud ويمكن اعتبار هذه الكتل كمرحلة تمهيد فيها يعد للتوصل الى مرحلة اللبن فى بناء المنازل . ومن أهم خصائص هذه المرحلة توصلها الى بعض الصناعات الحجرية كصناعة المناجل والفخوس المثقلة اتصالا وثيقا بالزراعة وأيضا صنعها لبعض الأدوات النحاسية لأول مرة فى العصر الحجري الحديث فى منطقة الشرق الأدنى القديم . ويستدل من ذلك على العثور على بعض الدبابيس النحاسية فى ثبة سيالك I . وهذا التفوق الصناعى باستخدام المعادن يعطى عصر حضارة سيالك أولوية لما اعتبرها فى التطور الحضارى لحياة الإنسان فى تلك الفترة . ويمكن الاستدلال من ذلك على بداية خروجه من النطاق المحلي وبالتالى اتساع تفكيره فى استغلال البيئة المحيطة وما تتضمنها من معادن . كما أن استخدام المعادن النحاس قد اضطره الى خلق صناعات جديدة تتطلبها عمليات التعدين من ضرب وطرق المعدن وبالتالى التحكم فيه وتشكيله فى الصناعة التى يتطلبها مجتمع ذلك الوقت . ومن أهم خصائص هذه المرحلة أيضا انشغال الإنسان بمصيره بعد الموت . فقد اعتنى بدفن موتاه بطريقة تدل على إيمانه بالعالم الآخر . وقد تميز إنسان هذا العصر الحضارى بدفن موتاه فى أرضية المنازل ويلاحظ أن الجثة كانت تخطى بالتراب الأحمر Red ochre . وقد اتجه المؤرخون فى تفسير وجود التراب الأحمر فى هذه المقابر الى احتمال قائده فى إعطاء الحياة لصاحب هذه الجثة لأن هذا اللون الأحمر يرمز الى الدم الذى يعبر جريانه فى جسد الإنسان على أن هذا الإنسان متمتع بالحياة . وقد وجد فى أحد مقابر سيالك فخار حجري موضوع بجوار الهيكل العظمى . وقد وضع هذا الفخار بطريقة تظهر للباحث أنه فى متناول يده المتوفى للاستخدام مباشرة . ويمكن الاستدلال من ذلك على إيمان أصحاب هذه الحضارة

بالحياة الأخرى . وقد اتجه المؤرخين الى اعتبار انسان حضارة سيالك ينتمى من الناحية البشرية الى المنصر المعروف باسم ما قبل الايرانية Proto-Iranian وأيضا الى المنصر المعروف باسم ما قبل البحر الابيض المتوسط Proto-Mediterranean ولهذا الحقيقة أهمية بالغة لارتباط هذه العناصر بالعناصر التي تصرف في العصر التاريخي وخاصة في الألف الثاني ق م . بالشعوب الهندية الايرانية التي قطنت هضبة ايران . وقد تلت هذه المرحلة عدة مراحل تطورت أخرى تقدمت فيها النواحي الحضارية المختلفة .

المرحلة الحضارية الثانية :

تتمثل هذه المرحلة في عصر حضارة سيالك Sialk II II وعصر حضارة كشمه على Chashmah ali I وماكين ب Bakun B II II و جيان V ب وأنار 1 anau 1 . ويلاحظ الدارس أن هناك اشتراك في عصر طبقات التلال بين المرحلتين الحضاريتين الأولى والثانية . ومعنى ذلك أن هذه الحضارة المشتركة قد امتد نفوذها الحضاري خلال المرحلتين وهذا يفسر تكرارها فيما (١) وتؤيد هذه المرحلة الحضارية الثانية بحوالي نهاية الألف الخامس وبداية الألف الرابع ق م . وهي تحاصر المرحلة المصروفة باسم عصر استخدام النحاس والحجر Chalcolithic وهو عصر حضارة البداري في مصر وعصر حضارة حلف في العراق القديم . وتمثل هذه المرحلة تقدما ملحوظا بالمقارنة بالمرحلة الحضارية الأولى وقد عثر على أثرها في الطبقات التالية لطبقات تلال المرحلة الأولى . وتدل دراسة آثار هذه المرحلة أنه لم تحدث أثنائها حروب كثيرة (٢) وربما يمكن الاستدلال من ذلك أن تلك الحقيقة قد أعطت فرصة للتطور العنقاري المحلي المستقر مما أدى الى نمو الصناعات اليدوية واتساع المنازل وتزويدها بالاهواب (٣) وكذلك استخدام اللبن والكتل الطينية غير المنتظمة . ولكن هذا الأمر لم يكن دقيقا بالدرجة التي وصلت اليها المراحل الحضارية التالية ولكنه كان متقدما عن المرحلة السابقة . وما يسترعى انتباه المؤرخ في مظاهر هذه المرحلة الحضارية الثانية أن حيطان حجرات المنازل قد دهنت باللون الأحمر . ويلاحظ المؤرخ أن هذا الدهان كان منتشرا في كافة المنازل ولذلك يغلب أنه استخدم فضلا لأغراض الزخرفة والزينة وليس لأغراض أخرى .

(١) أنظر الجدول التقويمي للمقارن المرفق .

(٢) R. Ghirshman, Iran, (Great Britain 1954), P. 32

(٣) Ghirshman, Ibid.

أما عن مكان دفن الموتى فكان يدفن في أرضية المنازل كما سبق الإشارة في المرحلة الحضارية الأولى . ويجدر بالذكر أن مصر في هذه المرحلة أي أثناء عصر حضارة البدارى قد تمكنت من الوصول الى مرحلة متفوقة فيما يتعلق بإيمان الانسان بحياته في العالم الآخر . فقد تمكن البداريون من بناء منازل خاصة للموتى في مكان خاص بهم أي جبانة واعتنى البداريون بالمحافظة على جثة المتوفى بصورة ملحوظة وليس فقط بمحاولة تمسيق المقبرة بل بتغطية الجثة بالحصر والجلد والقماش للمساعدة في المحافظة عليها . وقد أعطت هذه الحقائق لمصر في تلك المرحلة تقوفا حضاريا ملحوظا يجب اخذه في الاعتبار عند مقارنة حضارات الشرق الأدنى القديم في ذلك الوقت وذلك لان الاهتمام بحقيقة الموت ومصير الانسان بعد الموت يعتبر تقدما فكريا يصل اليه الانسان بعد تطوره المادي الذي ينعكس بصورة ملحوظة . ومن أهم مميزات هذه المرحلة الحضارية الثانية تفوقها الصناعي ويتبين ذلك بصورة واضحة في الصناعة الخزارية التي تميزت بزخرفتها بمناظر الحيوانات والطيور وقد صنعت هذه الزخرفة باللون الاسود على الارضية الحمراء للواني الخزارية . وقد استخدم النحاس على نطاق واسع في هذه المرحلة مما أدى الى زيادة النشاط الصناعي وبالتالي النشاط التجاري بين قري هذه المرحلة الحضارية .

وما يستحق الذكر أن آثار عظام الحيوانات المنتمية الى هذه المرحلة تبين العثور على بقايا عظام الكلب السلوقي وكذلك على عظام حصان صغير يمثل مرحلة متوسطة من مراحل تطور هذا الحيوان الأخير . من ذلك كله يتبين مدى التطور الحضاري في هذه المرحلة الذي مهد بالتالي نحو المجتمع الى المرحلة الحضارية الثالثة .

المرحلة الحضارية الثالثة :

هذه المرحلة تتمثل في عصر حضارة سيالك Stalk III وكشمة على ب وحسار^١ وجيان^٢ وياكون من أ I الى أ^٣ وكذا بداية سوزا^٤ . ومن الناحية الزمنية تؤرخ هذه المرحلة بأنها تتضمن من بداية الألف الرابع ق م . حتى حوالي نهايته وتماصر حضارة العبيد في العراق القديم أي بداية عصر ما قبل الاسرات وفي مصر تماصر عصر حضارة جرز^٥ الأولى وعصر حضارة العمرة وفي هذه المرحلة الحضارية الثالثة استخدم الأجر المنظم كما روى استخدام ظاهرة الفجوات المنتظمة في العمارة من الخانج وكذلك استمر دمان حيطان حجرات المنازل باللون الأحمر .

أما من ناحية دفن المتوفى في أرضية المنازل فقد استمر في استخدام أرضية المنازل لهذا الغرض كما نثر التراب الأحمر على جثة المتوفى . وقد لوحظ بقايا هذا التراب

الاحمر في أرضية المقبرة .

ومن الناحية الصناعية أظهر تفوقا ملحوظا في الصناعات الفخارية بعد اختراعه عجلة الفخار Potter's wheel ولم يقتصر التفوق في شكل الفخار ذات نفسه بل أيضا في عملية تكوينه وزخرفته وسراعة النسب الفنية اللازمة لاتقان هذه الصلبيات . وكذلك تفوق أصحاب هذه المرحلة الحضارية في صنع التماثيل الصغيرة بجانب تفوقهم في صناعات الادوات الحجرية والنحاسية - وقد ساعد هذا النشاط الصناعي الى زيادة النشاط التجارى بتصدير هذه المنتجات .

ومن أهم الادلة الاثرية التى تثبت ذلك الاختام الاسطوانية التى يستخدمها التجار لختم تجارتهم وتمييزها عن بضائع التجار الآخرين . وهذه الحقيقة لها أهميتها من الناحية الاجتماعية ففى تدل على شعور الفرد بشخصيته الذاتية وملكيته الفردية في المجتمع .

وقد أدى هذا التفوق الصناعى والتجارى الى بداية العصر التاريخى في منطقة جنوب وجنوب غرب ايران وذلك بالتعرف الى بداية التعبير بالكتابة الصورية المعروفة بما قبيل العبلامية Proto-Elamite ولاشك أن التوصل الى هذه المرحلة الهامة في حياة الانسان كان بعد التفوق الاقتصادى وضرورة تسجيل المنتجات الزراعية والصناعية حتى يتمكن من تنظيم عملياته الداخلية والخارجية ومن الاهمية بمكان أن يسجل المؤرخ هنا أن منطقة جنوب وجنوب غرب ايران كانت لها اسبقية حضارية هامة في تلك الفترة بالمقارنة بالمناطق الحضارية الاخرى في النهضة الايرانية . وهذه المنطقة الجنوبية والجنوبية الغربية هي المنطقة المعروفة بواى سوزيانا Susiana وهو الوادى الواقع جنوب غرب ايران والذي يعتبر مكملا للادوية الميزوبوتامية المتاخمة لهذه المنطقة من النهضة الايرانية . أما من النواحي التى يمكن أن تفسر استثناء هذه المنطقة عن بقية المناطق من ناحية تطورها الحضارى المستمر مع بقية مناطق غربى آسيا فربما يرجع ذلك الى متخامتها لاحد المراكز الحضارية الهامة في العالم وهو منطقة جنوب ميزوبوتاميا أى التى تمكنت من قيادة زمام الحضارة العالمية بصورة متفوقة . بالإضافة الى مصر في منطقة الشرق الادنى القديم . هذا بجانب أن الصحاري الطبيعية في النهضة الايرانية ربما كانت من الموانع المطلعة لصحة انتشار الثقافات الحضارية وبالتالي تطورها السريع المؤدى الى بداية العصر التاريخى في نفس الوقت الذى تمكنت فيه الحضارات الميزوبوتامية والمصرية في التوصل اليه .

أما من النواحي السياسية في هذه المراحل الثلاثة السالفة فالواقع أن المؤرخ لم يصل الى التعرف على تفاصيل هذه النظم ولكنها ربما كانت تقوم على أساس أن أكابر القسم

فقد القرية يكونون جمعية عمومية تترك حلقتهما في رأس الاسرة وبذلك تطوّر الى نوح من الملكية .



((الانتقال الى بداية العصر التاريخي))

سبقت الإشارة الى كيفية الانتقال الى بداية العصر التاريخي في العراق القديم ومصر وذلك بتوصل مصر الى الوحدة السياسية على يد الملك المصري نمرور أو حور عحسا أو منى . وكذلك حدوث طوفان أو فيضان كبير في العراق القديم قرب بداية العصر التاريخي مما جعل العراقيين القدماء يتخذون هذه الحادثة كحادثة مميزة لبداية العصر التاريخي في بلاد الرافدين . ومن الأهمية بمكان القول بأن مصر قد بدأت حياتها في العصر التاريخي بهذه الحادثة السياسية وهي وحدة البلاد بينما لم يصل العراق القديم الى هذه الوحدة الا في بعض الفترات السياسية التي نجح فيها بعض الحكام في جمع شمل البلاد . ولكن العراق القديم اتخذ حادثة الفيضان الكبير والطوفان كبداية للعصر التاريخي مما يؤكد أهمية الحمار، البهش في تشكيل الأحداث التاريخية بل وفي بداية تقويم العصر التاريخي في بلاد الرافدين .

وفيما يلي دراسة لكيفية الانتقال الى بداية العصر التاريخي بجنوب و جنوب غرب إيران .

الانتقال الى بداية العصر التاريخي في جنوب و جنوب غرب إيران :

تمكنت إيران في المراحل السابقة من التطور ماديا وفكريا وخاصة منطقة عيلام الكائنة في جنوب غرب الهضبة الإيرانية . ومما ساعد على تمكن عيلام من التوصل الى بدايات العصر التاريخي في نهر الفترة التي توصلت اليه كل من مصر وميزوبوتاميا متأخمة بهـ السلام الى مركز المدينة الميزوبوتامية في ذلك الوقت في جنوب العراق القديم . وقد ساعد تجاور عيلام وسومر الى وجود اتصال حضاري وسياسي بينهما منذ عصور ما قبل الاسرات . وقد تمكن

السومريين. في المرحلة الحضارية المعروفة باسم ماقبل الكتابة Proto-Literate وهي المرحلة التي تتضمن عصر حضارة الوركاء وعصر حضارة جمدة نصر من التوصل إلى بدائية التعبير عن اللغة السومرية بالكتابة المسمارية في مرحلتها الصورية . وقد تطورت الكتابة في بداية العصر التاريخي في سومر إلى مرحلة الكتابة المسمارية المقطعية . وفي نفس الوقت أيضا تمكن المصريون من التعبير عن لغتهم المصرية الحامية الاصل والمختلطة ببعض العناصر اللغوية السامية بالرموز الهيروغليفية . ويعتبر التوصل إلى مرحلة الكتابة في بداية العصر التاريخي عاملا حضاريا هاما نقل حياة الانسان إلى مرحلة جديدة واسمها النطاق تمكن فيها من التمتع كافة حاجياته وبالتالي توسيع دائرة . ويمكن القول أن الدوافع الاقتصادية كانت من الاسباب المباشرة التي ساعدت الانسان في كل من مصر وميزوبوتاميا إلى اختراع الكتابة وذلك لحاجته الملحة لأداة تعبيرية تساعده في تسجيل منتجاته الزراعية وتصريف هذه المنتجات في البيئة المحلية والخارجية . ويعتبر الدافع الديني من الاسباب التي كان لها أثرها البالغ أيضا في عملية اختراع الكتابة . ويتجسد الاستاذ ثوركليد جاكوبسن Thorkild Jacobsen استاذ النظم الاجتماعية الميزوبوتامية وكذا الآداب واللغة السومرية بجامعة شيكاغو إلى القول بأن العوامل الاقتصادية والدينية قد اجتمعت في المعبد السومري وأدى ذلك إلى نشأة الكتابة في بداية العصر التاريخي . أما عن الكتابة الهيروغليفية المصرية فالواقع أنها نشأت وتطورت في صميم البيئة المصرية . فدراسة الرموز الهيروغليفية المصرية تدل دلالة واضحة على تطورها المصري الصرف . فالرأي القائل بأن فكرة الكتابة الهيروغليفية قد استعيرت من الخارج رأى غير سليم . وقد بدأت الكتابة بالتعبير بالصور وتعرف هذه المرحلة بالمرحلة الصورية Pictorial Writing ثم تطورت هذه المرحلة إلى محاولة كتابة رموز تدل على الاصوات أو نطق هذه الكلمات المصير فيها بالصور . أي بإضافة رموز تعبر عن النطق Phonetic وتطورت هذه المرحلة بعد ذلك في بعض اللغات المكتوبة إلى مرحلة المقاطع Syllabic وقد تطورت الكتابة في النصوص المعروفة بما قبل السبئية Proto-Sinaitic (وهي النصوص التي عثر عليها في منطقة سربيط الخيام بسيناء) إلى مرحلة تسبق إلى الحروف الابجدية Alphabet وهي التي تمكن من الوصول إليها الفينيقيون وبالتالي اليونانيون . ويعتبر التوصل إلى مرحلة الكتابة نقطية تحول في حياة الانسان وانتقاله إلى عصر المدنية Civilizations أي مرحلة العصر التاريخي . وقد أعطي المؤرخون فضل الاسبقية في التوصل إلى مرحلة الكتابة إلى السومريين والمصريين حوالي ٣٠٠٠ ق م .

وفيما يلي مثال لتطور الكتابة الصورية الى رموز مسمارية :

طائر				
شور				
القمح				

ومثال آخر من الكتابة الهيروغليفية المصرية :

منزل		
جمران		
أفق		

ونتيهي من ذلك أن المرحلة الاولى من الكتابة هي مرحلة التعبير بالصور وقد مهد ذلك الى تطور الكتابة كما هو موضح بهذا المقال .

وقد تمكن السيلاميون من التوصل الى مرحلة الكتابة الصورية في بداية العصر التاريخي مما جعلهم يسبرون في ركب المدنية السومرية المجاورة دون تأخير . وقد أعطى ذلك الى منطقة عيلام أهمية خاصة لم تتمكن من التوصل اليها بقية مناطق الحضبة الايرانية والحقيقة أن عامل الصعوبات الطبيعية التي تتصف بها الحضبة الايرانية كان له أثره البالغ في تضيق نطاق الاتصال بين المجتمعات المنتشرة في شمال وجنوب وغرب وجنوب شرق ووسط الحضبة الايرانية . والمؤرخ يلاحظ بصورة واضحة انفراد عيلام Elam وكذا بقية الدول الجبلية القاطنة في جنوب غرب إيران أثناء الألفين الثالث والثاني ق م . بالتطور التاريخي بدرجة تتمشى لحد كبير مع التطورات الجارية في ميزوبوتاميا . أما بقية أجزاء الحضبة الايرانية فانها في الواقع كانت بعيدة عن هذه التطورات باستثناء بعض الفترات السمتي سادت فيها التحركات البشرية الهائلة المبرزة بتحركات الشعوب الهندية الاوروبية Indo-Europeans في منطقة الشرق الأدنى القديم . ولذلك يتجه بعض المؤرخون الى اعتبار الحضبة السامية مستمرة في مرحلة عصور ما قبل الاسرات أثناء الألفين الثالث والثاني

ونملك باستثناء منطقة عيلام وكذا غربي إيران - أما في الألف الأول ق م - فقد غلب الموقف وبدأت إيران برمتها في الانسحاق في سلك التطور التاريخي والتمكن من أداء دور فعال في تاريخ العالم .

وقد أطلق المؤرخون على المرحلة الأولى من كتابة اللغة العيلامية اسم ماقبيل العيلامية Proto Elamite script وحاول بعض المؤرخين إيجاد صلة بين الكتابة المصروفة باسم ماقبيل السومرية Proto Sumerian وبين ماقبيل العيلامية . وقد تمكن الأستاذ جلب Gelb من محاولة إيجاد صلة بين الكتابات المختلفة في منطقة الشرق الأدنى القديم وغيرها - وفي هذه الدراسة حاول التوصل إلى أصل واحد لهذه الكتابات واعتبر هذا الأصل في المرحلة المصروفة بماقبيل السومرية الصورية Proto-Sumerian Pictographic (انظر المجلد الرابع المرفقة الملتصقة المصغرة ، هذه النظرة والمطالعة الثانية) - ويجد رهنا القول بأن نظرية الأستاذ جلب Gelb ليست نهائية في هذا الموضوع وتتضمن عددا من المحقائق المعترف بها مثل تطور الكتابة السمارية الأكادية والكتابة السمارية العيلامية من الأصل السماري السومري وكذلك تطور الكتابة السمارية الحيثية والكتابة السمارية الحورية من الكتابة السمارية الأكادية - أما عن القول بتطور الكتابة الميريوفليغية المصرية عن الكتابة المصروفة باسم ماقبيل السومرية المصروفة فذلك بعيدا عن مجرد الاحتمال . فكما سبقنا الإشارة إلى المدنية المصرية في العصر الفرعوني قد تمكنت من التعبير بالرموز الميريوفليغية المصرية أي السلية الصرفة عن مضمون لغة المصريين . أما عن الكتابة المصروفة باسم ماقبيل العيلامية فيحتمل اعتمادها في بداية الأمر على الكتابة المصروفة باسم ماقبيل السومرية وذلك على أساس اتصال سومر بعيلام اتصالا حضاريا وسياسيا منذ عصور ما قبل الأسرات . أما أثناء العصر التاريخي فقد اتخذت اللغة العيلامية مركزا مستقلا عن اللغتين السومرية . ولم يمنع ذلك من وجود نصوص من اللغتين أو اللغة الأكادية في عيلام ، وما يستلزمه انتباه المؤرخ أن المرحلة السابقة للعصر التاريخي في ميزوبوتاميا وهي مرحلة عصر ماقبيل الكتابة تمكنت فيها حضارة جنوب العراق القديم (وهي التي أدت إلى تكوين المدنية السومرية في جنوب العراق القديم أثناء العصر التاريخي) من الانتشار شرقا وغربا حتى أنه قد ثبت وصول تأثيرها الحضاري حتى وادي السند شرقا وذلك في عصر حضارة جمدة نصر التي اتصلت بالحضارات الحارابية في وادي السند ، وتدل الأدلة الأثرية في مصر في عصر حضارة جيزة الأخيرة على وجود اتصال حضاري وتجاري بين مصر وبين جنوب العراق القديم وذلك عن طريق الخليج الفارسي والبحري العربي والبحر الأحمر وبالتالي طريق وادي العاصمات الواقع بين القصير وقتنا . ومن ذلك يمكن الاستدلال أن عيلام قد وقعت أيضا تحت التأثير الحضاري الميزوبوتامي المجاور . وليس معنى ذلك عدم وجود طابع عيلامي خاص في عيلام فالحقيقة أن هذا المنطقة كان لها طابع عيلامي الخاص المميز لها ولكن حدث في بعض الفترات التاريخية تأثر هذه المنطقة بالعوامل الحضارية الميزوبوتامية وعلى ذلك كانت عيلام تحاول الوقوف على قدميها سياسيا وحضاريا أمام التأثيرات الخارجية .

ومن ذلك كله يتبين أن مرحلة الانتقال إلى العصر التاريخي في إيران قد تبلورت في منطقة عيلام بصورة خاصة .

((الشرق الأدنى القديم في الألف الثالث ق.م))

وخاصة في ميزوبوتاميا

يصعب على المؤرخ التعميد الكامل المفضل لكيفية بداية العصر التاريخي في ميزوبوتاميا
تتمد في الواقع على ما كتبه السوماريون في تاريخهم لهذا العصر، وقد اتخذ السوماريون حادثة
فيضان أو الدلفان الكبير كعامل تاريخي هام في تأريخ ملوكهم تقسموا وثيقة الملوك السومرية
إلى قسمين أساسيين :-

١ - قائمة ملوك ما قبل الفيضان (الدلفان) .

٢ - قائمة ملوك ما بعد الطوفان .

والمقصود بمرحلة ما قبل الطوفان عصر ما قبل التاريخ ومرحلة ما بعد الطوفان بمرحلة
عصر التاريخي . أي أن حادثة الطوفان هي التي تفصل بين عصر ما قبل التاريخ والعصر
تاريخي .

وهناك أدلة مادية على وجود ظاهرة الطوفان في نهاية عصر حضارة جعدة نصصر
هناك أدلة أيضا على وجود هذه الظاهرة في عصر المبيد ويجدر بالملاحظة أن هذه الظاهرة
الفيضان واضحة في جنوب العراق القديم بل هي في الواقع مستمرة بصورة ملحوظة حتى
وقتنا الحاضر .

وقد لاحظ العالم الاثري ووللي Woolley أنه بينما كان مستمرا في أعمال التنقيب
عمل إلى الطبقات الخاصة بجعدة نصر والوركاء ثم المبيد ثم حفر بعد ذلك ولكنه لم يجد شيئا
رطبقة من الطين النظيف . وكان من المتوقع أن تؤخذ هذه الطبقة الطينية على أنها
بمرحلة وصلت إليها عضارات الإنسان في هذا الموقع ولا يوجد بعدها شيئا . ولكنه
تم في الحفر ٨ أقسام أخرى في هذا الطين النظيف وعثر على مجموعة من الأدوات الفخارية
في تنتمي إلى عصر حضارة المبيد ويحلل وجود هذه الطبقة الطينية النظيفة بأن فيضان
يرأ تدغم المنطقة في منتصف عصر حضارة المبيد . وهناك أدلة على وجود ظاهرة الفيضان
في مناطق أخرى مثل كيش .

وقد حاول المؤرخون إيجاد صلة بين ماسجلته الكتب المقدسة بشأن طوفان نوح عليه
سلام والأدلة الأثرية التي عثر عليها الأستاذ وولي في جنوب العراق القديم . ولكن الحقيقة
هي على الرغم من إيمان المؤرخ بالاحداث التي سجلتها نصوص الكتب المقدسة إلا أنه يصعب عليه
حتى الآن إيجاد أدلة مادية تصل حلقات المعرفة في هذا الصدد . وليس من المستبعد أن

ما اكتشفه الأستاذ وولى يكون مرتبطا بموضوع طوفان نوح عليه السلام زائداً عن العصور حتى الآن على أدلة نهائية تثبت بصورة مباشرة تفاصيل هذه الأحداث ، معناه عدم حدوثها . وما يستترعى انتباه مؤرخ تاريخ الشرق الأدنى القديم أنه هناك تشابه موضوعي لسبب بين مضمون بعض نصوص العهد القديم Old Testament ، التوراة ونصوص قانون حمورابي وأيضاً بين مزامير داود عليه السلام ونصوص انشودة آتون . يتبين من ذلك وجود صلات بين تراث بعض دول الشرق الأدنى القديم وبين التراث المقدس . ويجدر بالمؤرخ القول هنا بأهمية التراث المقدس السماوى كما سجلته كتب التوراة والانجيل والقرآن فى معاونه مؤرخ تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم فى التعرف على بعضاته قاطق والاحداث البارزة .

ولا يزال ، ألملم المؤرخ مجهود ضخمة فى محاولة ربط حلقات الاتصال والمعرفة بين نصوص هذه الكتب المقدسة وبين نصوص التراث الانسانى ربطاً تاماً مفصلاً .

وقد كتبت هذه القائمة فى حوالى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد وتبدأ القائمة بالعبارة "عندما أنزلت الشمس من السماء ظهرت فى أريدو" فى جنوب العراق القديم وتستمر القائمة فى ذكر أسماء الملوك الذين حكموا قبل الطوفان وقد ذكرت القائمة خمسة من الملوك الأوائل فى خمسة مدن مختلفة واستمر حكم هؤلاء الملوك مدة ٢٤١٢٠٠ سنة وأخيراً هؤلاء الملوك والملك المشهور باسم أديار-توتو حاكم فى جنوب مصر . باسم شستروباك Saurupak لمدة ١٨٦٠٠ سنة وهذه الأرقام والسنوات والحقائق مستقاة مما ذكرته قائمة الملوك السومرية (١) .

وربما كان هناك ارتباطاً بين معتبرات هذه القائمة أو ما تحوى نسخة مأخوذة منها وبين النص العبرى بشأن أشرة رؤساء (الآباء) Partimachs (من آدم الى نوح) وتستمر قائمة الملوك السومريين فى القول أنه بعد انتهاء ظاهرة الطوفان ظهرت الملكية فى كيش .

وبالإضافة الى ما ذكره القائمة الملوك السومرية بشأن الفيضان هناك أسطورة سومرية صمدية تتحدث عن فيضان أروغزان كبير وهذه الأسطورة مكتوبة على لوحة غينينية وذكرت هذه الأسطورة فى القصة الشعرية المشهورة والمعروفة باسم ملحمة كلكاميش The Epic of Gilgamesh وكلكاميش ملك ابلورى ملك على مدينة الوركاء وهذه الأسطورة السومرية تذكر تكوين مركب ضخمة موضوعها الغصة والذهب والأشياء المعينة بأعماثل والأقارب وقد رست هذه المركب فى وارجيل يحرف باسم جيل ، ناصر شرق الموصل

على نمر دجلة . هذه هي قصة الطوفان كما روتها النصوص السومرية والبابلية باختصار وقد ظهرت أيضا بطريقة الحال في النصوص العبرية وبصفة خاصة في سفر التكوين .

وأما عن العصر الآرامى، الذى يبدأ به المؤرخ تاريخ العراق القديم فهو المصير المعروف بعصر فجر الاسرات السومرى . Early Dynastic period ويمتد هذا العصر من حوالى ٣٠٠٠ ق.م . الى حوالى ٢٥٥٠ ق.م . أى أثناء النصف الاول من الألف الثالث ق.م . وهو يعاصر فترات من مرحلة عصر الدولة القديمة في مصر الفرعونية . وكما يمكن العراق القديم في هذه الفترة عناصر سومرية وأخرى سامية وكانت هذه العناصر تحصل معها تقاليدها وعاداتها ولغاتها الخاصة بها قبل مجيئها الى منطقة وادى الرافدين . وقد دخلت العناصر السامية العراق القديم من الجنوب الغربى حيث كان مركز العناصر السامية هو نجد . أما العناصر السومرية فقد اختلف المؤرخون ازاء مكانها الاول الذى هاجروا منه الى العراق القديم . وقبل مناقشة موضوع أصل السومريين وكيف جاءوا الى العراق القديم يجدر الاشارة الى أن كلا المنصرين السامى والسومرى قد قطعوا جنوب العراق حوبا جنوبيًا الى جنوب . ولاتدل الوثائق على حدوث حرب بينهما أساسًا للفترة العنصرية . ولكن نشأت المنازعات على أساس الرغبة في التفوق السياسى والمناخنة الاقتصادية . وليست على أساس التفرقة العنصرية (١) . وقد وصل مدى تعاون كلا المنصرين أن اتهم السومريين بحض الآلهة السامية كآلهة لهم .

أما عن مشكلة أصل السومريين ومن أين أتوا فلا تزال هذه المشكلة محل بحث العلماء ولم يستقر البحث على نتيجة نهائية في هذا الموضوع . والدراسة الانثروبولوجية لاتجيب عن شيء في هذا الموضوع أيضا لان أغلب البياكل العظمية التى عثر عليها في الفخار وجدت في مختلطة بعضها ببعض بدرجة يصعب على الباحث استخلاص نتائج نهائية منها . ولقد حساوى العلماء التعرف على أصل السومريين بدراسة تماثيلهم الحجرية وهذا ملايهم كما ظهرت غسي هذه التماثيل (٢) .

(١) T. Jacobsen, "The assumed conflict between Sumerians and Semites in Early Mesopotamian history", *Musan Origins, an Introduction to Anthropology*, Chicago, 1946. P. 495.

(٢) H. Frankfort, *Sculpture of the third millennium B.C. from Tell Tamer and Khafajah*, Chicago, 1939.

وبهذه المناسبة يلاحظ أن العناصر السومرية تمثل عادة في التماثيل حائلة اللبس والشوارب والرؤوس ولو أنهم يمثلون في أحيان أخرى بشعورهم ولكنهم في هذه الحالة لا يحلقون شواربهم .

ويغلب على الظن أن السومريين جاءوا من الشرق ، ربما من الهند وروا في طريقهم على عيان ، هذا مع العلم أن الحضارة الميلامية واللغة الميلامية تختلف كلية عن الحضارة السومرية واللغة السومرية .

ويرى الأستاذ Frankfort الذي قام بغائر أثرية مقارنة في مناطق مختلفة من العراق والشرق الأدنى ومصره يرى أنهم جاءوا من الشرق في عصر حضارة الميبيد . ويحترض بعض العلماء الآخرين على ذلك .

وقد استقرت العناصر السامية التي جاءت من الجنوب الغربي للعراق القديم والعناصر السومرية التي جاءت من الشرق في جنوب العراق مكونين حكومات المدن أو أسرات عصر فجر الاسرات السومرية .

وقد صيغت العناصر السومرية عصر فجر الاسرات بالمدينة والثقافة والآداب والفلسفة واللغة السومرية . وبذلك نستطيع أن نقول أن عصر فجر الاسرات في العراق هو عصر الاسرات السومرية التي تمثل حكومات مدن سومر في جنوب العراق .

وقد ساد هذا العصر صراع سياسي وحربي بين العناصر السامية من ناحية والعناصر السومرية من ناحية أخرى وكان أساسه كما سبق أن أشرت المتنافس السياسي والاقتصادي والرفعة في تزعم العراق القديم . هذا وقد نجحت العناصر السامية في الحصول على هذه الزعامة في عصر الدولة الأكادية وعصر الدولة البابلية الأولى وعصر الامبراطورية الآشورية والامبراطورية الكلدانية .

أما عن تفاصيل الاسرات السومرية والاحداث التاريخية التي دارت في النصيف الاول من الالف الثالث ق م . فان معرفة المؤرخ عنها ليست بالكثيرة نظرا لقلة الآثار التي تسمح الكشف عنها والتي تلقى ضوءا على تفاصيل هذه الاحداث . ومن أهم آثار هذه الفترة وثيقة قائمة الاماكن السومرية . ذكرت هذه القائمة أسرات عصر فجر الاسرات السومرية بالترتيب الآتي :-

١ - أسرة كيش الاولى وعدد ملوكها ٢٣ وعدد سنوات حكمها ١٠٥ ر ٢٤ سنة .

(تلي هذه الصفحة مباشرة صفحة ٥٢)

- ٢ — أسرة الوركاء الاولى عدد ملوكها ١٢ وحكموا ٢٣١٠ سنة .
- ٣ — أسرة أور الاولى عدد ملوكها ٤ وحكموا ١٧٧ سنة .
- ٤ — أسرة أوان awan عدد ملوكها ٣ وحكموا ٣٥٦ سنة .
- ٥ — أسرة كيش الثانية وعدد ملوكها ٨ وحكموا ٢١٩٥ سنة .
- ٦ — أسرة حمازى Hamazi:1 عدد ملوكها ١١ وحكم ٢٦٠ سنة .
- ٧ — أسرة الوركاء الثانية وعدد ملوكها ١١ وحكم ٢٦٠ سنة .
- ٨ — أسرة أور الثانية وعدد ملوكها ٤ وحكموا ١١٦ سنة .
- ٩ — أسرة آداب adab وعدد ملوكها ١ حكم ٩٠ سنة .
- ١٠ — أسرة ماري Mari وعدد ملوكها ٦ حكموا ١٣٦ سنة .
- ١١ — أسرة كيش الثالثة وعدد ملوكها (ملكة واحدة) حكمت ١٠٠ سنة .
- ١٢ — أسرة أكشاك akshak وعدد ملوكها ٦ حكموا ٩٩ سنة .
- ١٣ — أسرة كيش الرابعة وعدد ملوكها ٧ حكموا ٤٩١ سنة .
- ١٤ — أسرة الوركاء الثالثة وعدد ملوكها واحد وحكم ٢٥ سنة . (١)

ويلاحظ الباحث أن قائمة الملوك السومرية تذكر هذه الاسرات تلو الاخرى ولكن يغلب أن بعض هذه الاسرات كانت معاصرة لبعضها البعض أى أنها حكمت في نفس الوقت . والواقع أننا لا نعرف كثيرا من حكم ملوك هذه الاسرات وفيما يلي بعض هؤلاء الملوك

من أهم ملوك أسرة الوركاء الاولى مثلا الملك كلكميشر Gelgamesh (٢) . البطسل الاسطوري صاحب الملحمة الشهيرة المشهورة التي جاء فيها ذكر الطوفان ، ولقد كان الصراع السياسي والديني على أشده بين أسرات عصر فجر الاسرات محاولة كل منها استئراج النفوذ السياسي والديني من الاخرى وقد انتصرت أسرة أور الاولى على أسرة الوركاء الاولى . ومن أهم ملوك أسرة أور الاولى الملك ميمن - أنى - بادا es-anne-Pada . وقد ارتفع مستوى المدنية في عهد أسرة أور الاولى وذلك الحفائر التي قام بها الاستاذ ووللى على آثار عظيمة فيها سماه بالجبانة الملكية .

هذه الجبانة المشهورة باسم الجبانة الملكية حبيب تميمير الاستاذ Wooley تحوى على أكثر من ١٠٠٠ مقبرة يمكن اعتبار ١٦ (٣) مقبرة منها مقبرة غنية .

1. Finegan, I bid., P. 31. (١)

2. Heidel, The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels, (٢)
Chicago, 1945.

L. Woolley, Ur: the first phases, London and New York, 1946, (٣)

وقد اتجه المؤرخون في بداية الامر الى اطلاق اسم المقابر الملكية بالنسبة الى هذه المقابر الخفية . ومن أهم المقابر التي عثر عليها في هذه الدفنة مقبرة السيدة شوب - Ad - Shub التي وجد فيها بقايا جثث ٢٥ شخصا مدثونا محبوا . كما عثر أيضا في هذه المقبرة على كأس ذهبي بهيكل يديها وكذلك وجد لجام رأسيا في حالة جيدة .

وهذه المقبرة ترمز لنا بمشكلة انسانية وهي كيفية تفسير وجود هذه الجثث المجرورة لجثة صاحبة المقبرة . هل كانت بمثابة ضحايا بشرية Sacrifice Human أو يمكن ايجاد تفسير آخر . والواقع أنه من الصعب تحديد كيفية انهاء حياة هؤلاء الأشخاص لان العظام المتخلفة ليست في حالة تحلل رأيا قاطعا في هذه المسألة .

ويلاحظ الدارس لهذه المشكلة أنه منذ مرحلة توصل الانسان الى الايمان باستمرار الحياة في العالم الآخر وذلك منذ العصر الحجري الحديث أنه يلاحظ أن بعض الاوانس الفخارية التي تركها الانسان بهيكل يديها على أسرار حاوية اليها في حياته الاخرى ، يلاحظ أن بعض هذه الاوانس قد كسرت ولم يكن ذلك الكسر بسبب قدمها أو تآكل مادتها أو تأثير الرطوبة فيها بل مر الزمن ، ولكن ثبت أنها كسرت عن قصد أي بمعنى أعدمت أو قتلت (١) ، والمقصود بالقتل هو انهاء حياة الاوانس التي تنتمي الى صاحبها المتوفى والتي لابد أن تشارك صاحبها مصيره في الحياة والموت .

ويلاحظ الدارس أيضا أنه قد عثر في بعض المقابر المصرية لمصر بعض بقايا جثث كلاب دفنت مع أصحابها . أما اذا كان خدم المتوفى يقتلون عمدًا بمجردهم وفاد سيدهم فـإن المؤرخ ليس متأكدًا من حقيقة هذه الظاهرة . ويحتمل ، صحتنا في مصر ما قبل التاريخ ولكنه اختفت في العصر التاريخي في مصر . ولكن هناك بعض الأدلة التي تثبت وجود هذه الظاهرة وهي ظاهرة الدفن البشري استثنائية أثناء العصر التاريخي . فقد عثر في مقبرة تنتمي لاحدى أميرات الاسرة الاولى المصرية وقد دفن معها خدمها . وقد حمل كل منهم بهيكله الادوات والمواد التي كان يستخدمها في حياته . ويبدو أنهم قد دفنوا جميعا في وقت واحد مع الاخيرة (٢) . ومثال آخر ينتمي الى أحد الموظفين المصريين في عهد الدولة القديمة

(١) J. M. Wilson, The Burden of Egypt, Chicago, 1951, P. 26.

(٢) Illustrated London News, June 25, 1947, P. 91. American Journal of Archaeology, LI. 1947, 192.

الوسطى الذى دفن فى السودان وقد دفن معه أكثر من ١٠٠ خادم (١). ويبدو أن هذا التقليد قد ظهر فى مصر أمثلة استثنائية فى التاريخ المصرى عن طريق بعض تأثرات المجتمعات الافريقية فى عصور ما قبل التاريخ .

وقد استفظت مصر بيمصر هذه التأثيرات فى فترات تالية لعصور ما قبل التاريخ ويعتبر العامل الافريقى من الدوامل الهامة فى توجيه بعض العناصر الحضارية لتاريخ مصر الفرعونى فى بعض فتراته منذ عصور ما قبل التاريخ (٢). أما فيما يتعلق بالعراق القديم فيصعب على المؤرخ أن يسر موضوع هذه التسمية البشرية تفسيراً حاسماً . كما أن المبادئ التى أثرت فى تشكيل وتوجيه المدنية المصرية فى العصر الفرعونى تختلف عن القيم والمبادئ التى آمن بها الميزوبوتاميون وعلى أية حال فلا شك أن أفراد الناحية متضمنة الخدم أرادوا مشاركة المتوفى وخدمته فى العالم الآخر كما سبق أن شاركوه فى العالم الدنيوى .

ومن أهم اللوحات التى عثر عليها فى هذه الجبانة لوحة تسمى بلوحة أور Standard of Ur . وهى لوحة خشبية مطعمة تمثل الدرب والسلام ومقسمة الى ثلاث صفوف تمثل المناكم وهو يستعرض الاسرى الحرايا وبعد ذلك الدنود والمركبات وقد تلى عهد أسرة أور الاولى عهد اضطرابات وغروب أهلية بين حكومات المدن وأسباب هذه الغروب يمكن تلخيصها فى محاولة كل حكومة مدينة السيطرة السياسية على حكومة المدينة المجاورة . وسبب آخر هام فى هذه المنازعات هو التنازع على المياه المجاورة ومدى تحكم هذه المدينة أو تلك فى هذه المياه . والنراع بين كل من مدينتى لجش Lagash أو لكش وجاراتهما أما Umma فى جنوب العراق يمثل هذه الصورة الأخيرة من المنازعات .

ويلاحظ الباحث فى دراسة أسماء ملوك الاسرات المختلفة كما هى مذكورة فى قائمة الملوك السومرية أن أسماء ملوك أسرة أكشاك واسرة كيش الرابعة أسماء سامية Semetic وهذه الظاهرة يمكن أن نأخذها كدليل على انتشار بعض العناصر السامية فى أسرات حكومات المدن السومرية فى عصر فجر الاسرات مما سيكون له أثره الفعال فى تظلمهم فى نواحيه هذا العصر وتأسيس الدولة الأكادية akkadian dynasty .

G. M. Reisner, Excavations at Ker a, 1-111, Harvard (1)

African Studies, Vol. V p. 141.

G. G. Seligman, Egypt and Negro Africa. (2)

Studies presented to Griffith, London London, 1933.

والمؤرخ لا يعرض لتفاصيل الاحداث التاريخية في عصر فجر الاسرات السومرية الا أن أهم اهمية تميز هذه الاحداث هي عدم وجود وحدة سياسية بين حكومات المدن في العراق القديم . وقد حاول بعض حكماء حكومات المدن السومرية القيام بتوحيد جنوب العراق القديم . من أهم هذه المحاولات المحاولة التي قام بها لوكال زاكيزي Lugalzagesi وكان يمثل وظيفة حاكم مدينة أما وتمكن من الانتصار في محاولات توحيد جنوب العراق وأصبح ملكاً على مدينة الوركاء . ويعتبر لوكال زاكيزي من أهم الشخصيات السومرية وقد سجلت النصوص لسومرية انتصارات هذا الملك . ويتجه تفسير المؤرخين لهذه النصوص أن جيوشه قد وصلت إلى حدود البحر الأبيض المتوسط أي أنه نجح في تأمين حدوده الداخلية وبالتالي اتساع نطاق نفوذه السياسي والحربي داخل العراق القديم . ومن أهم حكومات المدن في العراق لقديم في عصر فجر الاسرات حكومة مدينة لكش Lagash وقد سجلت نصوص أحد حكامها وهو أور - نانشي Ur Nanshe المجهودات البناية الكبيرة التي قام ببناؤها مثل بناء المعابد وشق القنوات . ومن الشخصيات البارزة بين حكماء هذه الأسرة شخصية الملك اياناتوم Bannatum وقد نجح هذا الملك في فرض سيطرته السياسية والدعوية على حكومات مدن أما - الوركاء - أور - واكشات وكيش ومارس وقد سجل معركة ضد أما في لوحة شهيرة تعرف باسم لوحة النسور Stela of the Vultures

وعلى الرغم من أن معرفة المؤرخ محدودة بالنسبة لتفاصيل ... أحداث التاريخ إلا أنه تمكن من التعرف خلال دراسته لمضمون الوثائق السومرية ، على عدد هام من المبادئ والقيم الفلسفية الحالية التي توصل إلى انتاجها التفكير السومري قرب نهاية عصور ما قبل الاسرات ، وأثناء العصر التاريخي . ويعتبر توصل العقل السومري إلى هذا المستوى الرفيع من الانتاج الفكري الحالي من الخطوات الهامة في تطور تاريخ الانسانية .

ويمكن تلخيص بعض هذه القيم في نقطتين أساسيتين :-

- أولاً ، توصله إلى مبدأ الديموقراطية البدائية .
- ثانياً ، توصله إلى الفكرة الحالية ، وقد توصل إلى كلا المبدأين بإيجاء من البيئية المادية الصرفة .

وتعتبر البيئة الجغرافية أو الطبيعية أو الجوية المسيطرة بالفرد والمؤثرة في تفكيره من أهم العوامل الطبيعية التي سبق الإشارة إليها في موضوع نقله الانسان من عصر جماع الطعام إلى عصر انتاج الطعام . فقد واجه الانسان الانبار وفيضاناتها وحاول التعصم فيها سواء أكان ذلك في مصر أو العراق القديم . ويجدر هنا القول أن توري دجلية

والفرات يختلفان اختلافا كبيرا عن نهر النيل ففيضانهما غير محكم الوقت كنهري النيل كما أن الطبيعة الجغرافية والنبوية في العراق أقسى منها في مصر حيث أنوارا تختلف كل الاختلاف عن حالته مصر البيئية وقد انعكس عامل البيئة هذا في إنتاجهم الفلسفي والادبي . لأنهم كانوا يخشون من هذه القوى الحنيئة التي تظهر في الرعد والبرق والزوايح والفيضانات الغير منتظمة في العراق القديم .

ولقد انعكس عامل البيئة في إنتاج السومريين الفلسفي والادبي والديني فالاديبي أو الكاتب الميزوبوتامي يصبر في إنتاجه عن خشية من قوى الطبيعة الفاشمة . إن شعور بضعف كيانه أثارها على فكره الوضع في مصر حيث يلاحظ الباحث أن طبيعة مصر تؤكد دائما الاستمرار Continuity فالشمس تشرق من الشرق وتتوسط السماء ثم تغرب في الغرب وهي لا تنقطع عن هذه الدورة وقد تمرد عليها المصري وربط نفسه بهذه الظاهرة الدائمة المستمرة reassuring فشعر المصري بالأمان والاطمئنان security أما فسي ميزوبوتاميا فيمكن تلخيص وجهة نظر الزجل الميزوبوتامي في بداية مرحلة تكوين فلسفته فسي العصر السومري وما يليه من العصور التاريخية أنه كان يشعر بضعف كيانه أمام القوى الطبيعية . وقد كتب أحد السومريين بين مواجهته لهذه القوى واستجابته وهذه القوة في هذه الحالة هي الفيضان قال " . . . الفيضان الخزيير الذي لا يستطيع أي رجل أن يواجهه . هذا النوع من الفيضان الذي يذو السموات ويرج الأرض . . . " (١) .

وكان الميزوبوتامي يربط نفسه بقوى الكون Universe or cosmos المحيطة لأنه كان ينظر إلى العالم كله ككرة مكونة من نهر وأرجار ومياه ومواطنين وطبيسور وحيوانات ولكل شيء من هذه الأشياء كيان شخصي . وبطبيعة الحال تختلف تلك الشخصية من كائن إلى آخر .

وقد سجل أحد الكتاب السومريين قطعة أدبية عن الملح كمادة طبيعية قال "أيها الملح لقد ظهرت في مكان نظيد . وإن الإله الليل Bilil قد جعلك من نصيبه ولا يمكن لأي طعام أن يصنع إلا إذا كنت فيه ويد ذلك لا يستطيع أي ملك أو سيد أو أمير أو حاكم أن يشم البخور . . . " .

(ويمكن القول أن هذا النوع من التفكير ربما انعكس فعلا في تفكيرهم السياسي وفي نظام حكم الدولة من الناحية السياسية . وقد سبقت الإشارة إلى نظام الديمقراطية البدائية

(١) T. Jacobsen, "Mesopotamia", The Intellectual Adventure of Ancient Man. P. 127.

حيث أن حكم الدولة كان في أيدي جمعية عمومية من الرجال، الأحرار البالغين بدلا من تركيز السلطة في يد فرد واحد . وقد كان المجتمع السومري مكونا بطبيعة الحال من المبيد والرجال الأحرار والأطفال والنساء ولم يكن هناك مجال في ذلكم إلا للرجال الأحرار فقط حيث كان لهم حق التصويت .

وقد اعتبر السومري أو الميزوبوتامي القوى الدلبيعية البائنة بمثابة آلهة واعتبروا هذه القوى بمثابة أعضاء أساسيين في هذا الكون . وكان على رأس هذه الآلهة الإله أنو Anu إله السماء ويمثل السلطة القوية والإله إنليل Enlil إله الزواجر والقوة ثم إله الأرض إنكي En-ki وفي بحر الاحيان يطلق عليه ملته الآلهة وسيدة الجبال . يظهر هذا الإله في مظهر من مظاهره كرجل ومظهر آخر كوث .

ومن أهم انتاج السومريين الفلسفي فكريتهم الكونية أي أنهم نظروا إلى الكون كله كدولة وأن لكل كائن شخصيته الممنونة وكما سبق أن ذكرت يمكن إيجاد علاقة بين هذا التفكير وبين فكرة الديمقراطية البدائية Primitive Democracy (١) أنهم نظروا إلى العالم كله كدولة مكونة من عدة أعضاء تمثل القوى الكائنة فيه .

ومعنى الديمقراطية البدائية التفكير على أساس مبدأ المساواة بين المظاهر الكونية بمعنى الاحتفاظ كل مظهر في هذا الكون بشخصيته الذاتية والإيمان بأهمية كل شخصية في هذا الكون واتصالها جميعا بعضهم البعض في تدبير هذا الكون .

ويجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من التفكير الديمقراطي ليس ديمقراطيا بالمعنى الكامل، عندما طبق بصورة عملية في نظام حكم الدولة . فالجمعية العمومية التي تحكم المدينة السومرية لم يكن أعضاؤها إلا من الرجال الأحرار أي أن هناك نوعا من التفرقة النسبية بين أفراد المجتمع . ولكن هذا التفكير الديمقراطي البدائي في ذلك الوقت ، على الرغم من عدم اكتماله ، إلا أنه يعتبر تفكيرا متقدما في حياة الإنسان . ولم يصل العالم اليوناني إلى المبادئ الديمقراطية بمعناها المعروفة إلا أثناء القرنين الخامس والرابع ق م . مما يعطى التفكير السومري أولوية مدونة في مجال تطور الفكر السياسي .

T. Jacobsen, "Primitive Democracy in ancient Mesopotamia" (1)
Journal of Near Eastern Studies, vol. 11, July, 1943,
Number 3.

ومما يستتري الانتباه ان السومريين قد انتجوا هذا النرد من الانتاج الفكري العالى على الرغم من عدم توصلهم الى الوحدة السياسية واستمرار وجود بعض الحروب الداخلية بين حكومات المدن .

وقد كان العامل الهيثمة الاجتماعية أثره المباشر وغير المباشر في خلق هذا النوع من التفكير . وربما كان لهذا العامل الاقتصادي أثر أيضا في ذلك . وهذا العامل الأخير تعلق في عصر ما قبل الاسرات في فترة الثورة الصناعية الاولى وفي النقلة من جمع الطعام الى انتاج الطعام مما أدى الى ضرورة انشاء الترم والتحكم في الانبار ونحوه . عن ذلك نشأة القسري والمدن وزيادة السكان وظهور الرثيعة والمرؤوس ، ان هذا العامل الاقتصادي كان له أثر في تفكيرهم الاجتماعي والتعاوني الديمقراطي البدائي بدلا من تفكيرهم الفردي . وقد انعكس هذا التفكير كما سبق أن ذكرت في نظامهم السياسي وأنتم نقلة فيه وتأسيس جمعيية عمومية للزيتال الاحرار أى أن هناك هيئة جماعية تحكم البلاد بدلا من فرد واحد أو ملك واحد .

ومما يستحق الذكر في هذا الصدد أيضا أنه خلال تاريخ مصر الفرعونى يلاحظ المؤرخ في عصر الانتفال أو عصر الثورة الاجتماعية الاولى بعض العناصر الدالة على مطالبية بعض المصريين بالحدالة الاجتماعية . وما بين وجود أدواء تمثل حقوق الافراد والمطالبية بها في المصير المصرى في العصر الفرعونى . هذا مع العلم بأن نظام الحكم في مصر الفرعونية كان يتركز في يد فرد واحد ، والفرعون أو الملك الاله . والملكية في مصر الفرعونية ملكية فرعونية فالاله يحتل الاله على الارض وهو اله في نفس الوقت ويحتل كرامة بين عالم الالهة وعالم الانسان . أما في العراق القديم فلم يكن الملوك آلهة بأي حال من الاحوال باستثناء الملك نارام سن الاكادى (١) الذى سجدوا له ، لقابه ما يبرهن قدسيته . ولا يوجد المؤرخ تفسيراً لهما إلا انهما كانا الهة في تاريخ العراق القديم .

هذا وقد أنتج السومريون انتاجا غنيا رائعا في النحت والحجارة بجانب انتاجهم الفكري والفلسفى ومن أمثلة الانتاج الفنى السومرى مجموعة تماثيل السومرية التى كشفت في منطقة تل أسمر ونفاجة ومن أهم أمثلة هذه المجموعة تماثيل الاله أبو bu وزوجته

(١) H. Frankfort. Kingship and the Gods, Chicago, 1948, P. 224.

وقد عثر عليها في المعبد المربع الخاص بالاله آبو في تل أسمر^(١). وقد ترك السومريون تراثا معماريا ضخما في عدد كبير من المدن السومرية ويشمل ذلك المعابد المختلفة مثل معبد الاله سن (اله القمر) في خفاجه ومعبد الاله آبو في تل أسمر^(٢).

وقد سبقت الإشارة الى أن العناصر السومرية والعناصر السامية قد دخلت العراق القديم في عصور ما قبل الاسرات وعاشت سويا ولكن الزعامة كانت للعناصر السومرية . ولـكن العناصر السامية كانت تحاول انتهاز فرصة ضعف بعض الملوك السومريين في بعض حكومات المدن السومرية وتحاول اخلال نفسها مكان العناصر السومارية . وقد ظهر هذا التدخل السامي بصفة خاصة في أسرة أكشاك وأسرة كيش الرابعة . وقد وصل التنافس على الزعامة السياسية بين السومريين والساميين حدة قرب نهاية عصر فجر الاسرات السومرية ونجح الساميون في انتزاع الزعامة السياسية والعربية من السومريين وبذلك بدأ عهد الانتصار السامي الاول وهو عهد الدولة الأكادية وقد استمر ذلك من حوالي ٢٣٦٠ أو ٢٥٥٠ الى حوالي ٢١٨٠ ق م.

وقد سبق الإشارة الى أنه على الرغم من اختلاف العناصر السامية عن العناصر السومرية من النواحي البشرية واللغوية والضرية وأيضا على الرغم من تنافسهم على الزعامة السياسية على العراق القديم الا انه لم تكن هناك تفرقة عنصرية بينهما بل على العكس كان هناك اتصال حضاري . فقد استعار الساميون الخط السماري من السومريين (انظر اللوحة ص ١٨) ويتبين من ذلك احتمال انتهاء اللغة الأكادية المكتوبة بالخط السماري الى المرحلة المعروفة باسم ما قبل السومرية الصورية أصلا وعلى أية حال تطورت اللغة الأكادية المكتوبة بالخط السماري فيما بعد الى اللبديجات البابلية والاشورية والكلدانية . وجميعها تمثل الفرع الشرقي لعائلة اللغات السامية . أما الفرع الغربي فيتمثل في اللغة المبريسية والآرامية والسريية . وهناك أيضا اللغة الحبشية التي تنتمي لعائلة اللغات السامية

وقد بدأت هذه الهجرات السامية في التغلغل في جنوب العراق القديم منذ عصور ما قبل الاسرات وتغلغلت في وقت متقارب نسبيا العناصر السومرية أيضا .

H. Frankfort, Sculpture of the Third Millennium B.C. from (١)

Tell Asmar and Khafajah, Chicago, 1939.

E. A. Frankfort, Arrest and Movement, Chicago, 1951.

P. Delougaz and Lloyd, Pre - Sargonic

Temples in the Diyala Region, Chicago, 1942.

والشخصية السامية التي نجحت في تغيير مجرى التاريخ في العراق القديم ونقل الزعامة من العناصر السومرية الى العناصر السامية هي شخصية الملك الاكادي سرجون الاول . وهو شخصية غير مسروقة الاصل وكان يعمل في بداية الامر عند سيده حاكم أسرة كيش الرابعة وتمكن من التوصل الى مركز ينافي الحاكم والثورة ضده ومهد ذلك نحو استيلائه على حكم هذه الاسرة . ثم بدأ في تأمين سياسته بأن نجح في الانتصار على لوكال، زاجيزي وبدأ بعد ذلك في تدعيم الدولة الاكادية وانشاء الامبراطورية السامية الاولى .

((عصر الامبراطورية الاكادية))

أو

المصر السرجوني من ٢٣٦٠ - ١٨٠٠ ق م

تمكن سرجون الاول من النجاح في ثورته على ملك أسرة كيش الرابعة وأيضاً على لوكال، زاجيزي ملك أسرة الوركاء الثالثة ثم تابع سرجون الاول انتصاراته نحو الشمال واستولى على مدينة ماري وتسمى الآن مدينة تل العفرى وأيضاً اتجه نحو الشمال الشرقي حيث تمكن من تثبيت نفوذه في مناطق القبائل الكوتية الساكنة في منطقة كركوت وأربيل ثم اتجه بعد ذلك الى جنوب العراق، ونشر نفوذه على مدينة أور السومرية وبذلك يعنى القبول أن سرجون استطاع أن يسيّد الوحدة للعراق القديم لأول مرة بشكل كامل . (لأنه سبقه لوكال، زاجيزي، لكن لم يستدروا) وتستمر امبراطورية سرجون أول امبراطورية في الشرق الأدنى القديم وبعد أن تمكن سرجون الاول من توطيد كيانه السياسي الداخلي اتجه نحو تأمين الامبراطورية الاكادية في الشرق الأدنى القديم . وبدأ باستيلائه على منطقة عيلام جنوب غرب ايران، وجزيرة العرب، العراق، ميسوتاموسا واتجه غرباً بعد ذلك حتى منطقة كبادوكيا في آسيا الصغرى . وهناك احتمال لوصوله الى جزيرة قبرص . وفي عهد سرجون بدأ عهد جديد ظهرت فيه سيطرة العناصر السامية سواء كان ذلك من الناحية السياسية أو الحضارية . فقد بدأت اللغة الاكادية السامية المكتوبة بالخط المسماري تحتل مكاناً حتى صارت اللغة الدولية في الشرق الأدنى القديم خلال الألف الثاني قبل الميلاد . ولقد اكتسب الاكاديون الكثير من المزايا الاقتصادية والتجارية والحضارية من توسعهم في الشرق الأدنى القديم وتكوينهم الامبراطورية الاكادية . وقد اتخذ سرجون مدينة أكاد عاصمة لهذه الامبراطورية . وقد أعطت هذه المدينة اسماً لهذا العصر وأيضاً اللغة الاكادية . وسرجون (شاروكين) نفسه شخصية هامة في التاريخ وهناك كثير من القصص والاساطير حول شخصيته ومن أشهر هذه الاساطير أسطورة تشيد في زواجه قصة سيدنا موسى عليه السلام . تقول الاسطورة

"ان سرجون ولد سرا من أم ساقطة وأب غير معروف وأن أمه وضعت في سلة وقذفت به في الماء (اليوم) (نهر الفرات) وشر على هذه السلة فلاح فأخذ سرجون من السلة ورماه وأعجب به ملك كيش وأدخله في خدمته وبعد ذلك أسبته الآلية وجعلته ملكا . " وسرجون الأول شخصية قوية لها أهميتها في تاريخ الشرة. الأدنى القديم لتكنه من تأسيس أول امبراطورية في هذه التسمية ولكن العناصر السومرية في حكومات المدن لم تقبل هذا الوضع الجديد بمسئولة فقد قامت مدينة أور السومرية بالثورة عدة مرات «اولسنة لخروج من نطاق هذه الامبراطورية السامية . ولكننا لم نتج في هذه المرة في عهد سرجون وقد خلفه رموش ابنه . وستمكن العناصر السومرية من استعادة العظمى السومرية مرة أخرى في عهد أور الثالثة . ومن أهم ملوك الدولة الاكادية بجانب سرجون لملك نارام سن Naram - Sin الذي تمكن من إعادة توحيد أركان الامبراطورية الاكادية على الرغم من محاولات السومريين تفكيكها . ولقد لقيت النصوص هذا الملك " ملك لحالم وملك الجهات الأربع " . ومن الآثار التي خلفها نارام سن أشهر مشهور خروج باسم نصب النصر Stela of Victory وهذا النصب موجود الآن بمتحف اللوفر بباريس . ويثل هذا اثر الملك واد على رأس جيشه المنتصر على بعض القبائل الجبلية لسروقة باسم لولوبي Luubi . ويمكن اعتبار نارام سن آخر ملك قوى من ملوك الاكاديين ، وبالتالي حكمت بدأت مظاهر الضعف تبدو في أيام الامبراطورية الاكادية ولقد انتشرت العناصر الكوتية وحى عناصر جبلية قوقازية فرصة ضعف الدولة الاكادية وحقت على العراق القديم في ذلك الوقت وأثبتت حكم الامبراطورية الاكادية وبدأت عصر جديد في تاريخ ميزوپوتاميا في الالة الثالث ق م . ويعرف باسم العصر الكوتي واستمر من ٢١٨٠ - ٢٠٧٠ ق م . وعصره المؤرخين عن هذا العصر مصرفة قليلة أو شسبه سدومة ولكن يبدو أن الكوتيين قد دمروا الكثير من انتاج السومريين والاكاديين الفني وغيره ولقد انتشرت حكومات المدن السومرية هذا الوضع الجديد وبدأت في محاولة استعادة مجد السومريين القديم من أشهر الشخصيات السومرية في ذلك الوقت شخصية زبل السومرية جوديا Gudea أو (كوديا) ملك لكش وقد مهد جوديا الى استعادة النهضة السومرية مرة أخرى وبدأ العصر السومري الجديد الذي استمر من ٢٠٧٠ الى ١٦٦٠ ق م . وجود يسا شخصية تتميز بصفات العظمة والتقوى . كرس جوديا نفسه كراخ للشعب السومري وكان كسبر التحيد وكان يقول مثلا في بعض نصوصه " ليس لدى أم فأنت أمي الخالصة (يحدث الاله) وليس لدى أب فأنت أبي الخالص " وقد ترك جوديا عدة تماثيل لها جمالها الفني وأشهرها التمثال الموجود في متحف اللوفر بباريس . وترك عدة نصوص تمد من أرق وأحسن ما أنتجته الادب السومري القديم وقد خلفه في الحكم ابنه أورنكسر . ويظهر دور الملوك السومريين

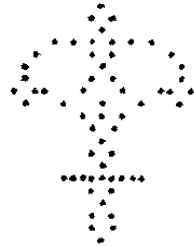
ومحاولاتهم استعادة العظمة السومرية مرة أخرى بدأ النفوذ التوتى فى الضعف وسياسا عد ذلك بطبيعة الحال على سرعة انتشار السومريين وعلى رأسهم الملك آتو - حيكال خاتسم الوركاء والذى أسس أسرة الوركاء الخامسة ولقب نفسه بملك سومر وأكاد . ثم انتقلت العظمة السومرية الى مدينة أخرى لها أهمية كبيرة فى تاريخ السومريين وهى مدينة أور Ur وفيها أسس أور - نامو Ur - Namu أسرة أور الثالثة . وكان أور - نامو - عبيد فواد الملك آتو - حيكال حاكم الوركاء . وأور - نامو يبدأ فى الواقع عصر العظمة السومرية الحقيقية كما تظهر فى عصر أسرة أور الثالثة (عصر أور الذهبى) .

ويعتبر عصر أسرة أور الثالثة عصر رخاء وتقدم سياسى وعربى وحضارة وفى نفسى تاريخ العراق القديم ومن أهم شخصيات هذه الأسرة شخصية أور - نامو الذى ترك لنسبنا الكثير من الآثار الواسعة فى عدة مدن وأشهر هذه الآثار هو مسجد أور المدرج المعروف باسم زقورات أور Ziggurat

ويلاحظ المؤرخ أن مسجد أو المدرج المعروف باسم زقورات أور مبنى من اللبن وهو عبارة عن عدد من الدرجات المؤدية الى مسجد فى أعلى البناء وهناك بعض الظواهر المعمارية المشابهة بوجه عام فى كل من مصر الفرعونية وعمارة البنود الحمر فى المكسيك من ناحية وجود مباني مدرجة لها صيغة دينية ويتبعه المؤرخ الى محاولة إيجاد صلة بين هذا الانتاج المعماري المتشابه نسبيا فى مختلف جهات العالم ولكن الحقيقة أنه لكل مبنى من هذه المباني وظيفته الخاصة فالسوم المدرج فى مصر هو عبارة عن مقبرة ملكية ويمثل الهرم البتاء العلوى لهذه المقبرة الملكية . أما زقورات أور ومسجد البنود الحمر فى المكسيك فهى عبارة عن هياكل فى أعلى البناء المدرج . ويصعب على المؤرخ القول بوجود تأثيرات متبادلة بين هذه المناطق نتجت عنها هذه الابنية المتشابهة شكلا وذلك لاختلاف الأزمنة التى بنيت أثناءها بدرجة ملحوظة وهذا لا يمنع من وجود اتصال حضارى بين مصر والسراق القديم منذ عصر حضارة جيزة الاخيرة فى مصر وجمدة نصر فى العراق القديم .

وقد وجد اسم أور - نامو نفسه مكتوبا على اللبن المبنى به المسجد وقد كان مسجد الاله نانار Nannar الاله القمر قائما على قمة هذه الزقورات . وربما كانت الدرجات المؤدية الى المسجد مغطاة بالحلين الذى يمثل استخدامه لزراعة النباتات فى الطريق المؤدى الى المسجد ولدينا أثرا هاما آخر لأور - نامو هو لوحة تمثل طريقة بناء الزقورات وتسمى لوحة أور - نامو Stela of Ur - فيها هذه اللوحة يرى الملك وهو فى وضع متعبد بينما "الملائكة" الطائفة يحملون الاوانى التى تفرغ منها مياه الحياة . ثم يلى

ذلك بمضيقا مناظر عملية بناء الزقورات نفسها . وبعد -تم أور- نامو خلفه علو العرش ابنته الملك دنكى أو شكى أور دنكى Bu di وبعد ذلك تلاء الملك بور- سره ثم الملك جميل - سن ثم الملك ابي- سن Ibi - Sin . ويمكن القول أن الوضع السياسى فى العراق القديم فى عهد أسرة أور الثالثة كان مستقرا للغاية . وقد تمكن حكام أور خاصة فى عهد (أور- نامو) ودنكى من نشر نفوذ أور السياسى حتى مندلقة هيلام جنوب غرب ابي-ران وجنوب شرق العراق ، وكذا فى المناطق الشمالية شمال شرق الدجلة وحتى المنطقه التى ستظفر فيها العظمة الاشورية فى نينوى . وتقوا ، بنظر المصادران نفوذ أور الثالثة السياسى والدارى والتجارى قد وصل الى مندلقة البحر الابيض المتوسط وآسيا الصغرى ، ولكن هذا القول لا يزال محتاجا الى تدعيم . وفى عهد الملك ابي- سن انتشرت العظمة السومرية على أيدي مجموعة من العناصر السامية وفى العناصر المسروقة باسم العناصر الآشورية Isin فى جنوب العراق القديم . وعلى ذلك أصبحت العناصر العيلامية على المدن السومرية فى ذلك الوقت وتمكنت من انهاء العظمة السومرية . وعلى ذلك يمكن القول ، ان عظمة أسرة أور الثالثة انتهت على أيدي الحوريين والعيلاميين اللذين أسسا عصرا جديدا فى تاريخ العراق القديم وهو عصر الاحتلال الآشورى والعيلامى الذى استمر من سنة ١٩٦٠ الى سنة ١٨٣٠ ق م .



((الشرن الادنى القديم))

في الألف الثاني ق.م. وخاصة بلاد الراتدين والاناخسول

المراق القديم :

مصر الاحتلال الآشوري والحيلامي :

هناك تسمية أخرى لهذا العصر وهي عصر أسرتي ايسين و لارسا حيث كانت المناصر الآشورية في أسرة ايسين والحيلاميين في أسرة لارسا .

والآشوريين قم ساميون ويقطنون منطقة آشور Assyria بسوريا ولبنان ، وبينما كان النزاع مستمرا بين الآشوريين والحيلاميين على الزعامة السياسية للمراق القديم كانت أسرة بابل السامية الآشورية الأصل أيضا في طريقها إلى التكون . وسرعان ما تمكنت من بسط نفوذها على حكومات المدن المجاورة وأسست الأسرة البابلية الأولى . وقد استمرت هذه الأسرة من سنة ١٨٢٠ ق.م. إلى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد . وأما من تفاصيل الأحداث التاريخية في مصر الاحتلال الآشوري والحيلامي فقليلة ولكن سادت فيها ظاهرة استمرار النزاع السياسي والديني بين حكومات المدن في جنوب المراق . وقد انتهزت أسرة بابل الآشورية الأصل انشغال حكومات المدن الآشورية بمنازعاتها السياسية والحربية وتوجهت في السيطرة على الموقف . وقد كان النزاع بين الآشوريين والحيلاميين محتدا وانتصرت المناصر الحيلامية على المناصر الآشورية وواجه الحيلاميون بعد ذلك المناصر البابلية الآشورية الأصل ونجح البابليون في توطيد أركان حكمهم والانتصار على الحيلاميين وخاصة في عهد الملك البابلي العظيم حمورابي . فقد بدأت أسرة بابل السامية في نشر نفوذها في منطقة أكاد السامية أولا ثم قامت بعد ذلك بمحاولة السيطرة على منطقة سوس . تمكن الملك حمورابي Easaurabi (الذي كم من حوالي سنة ١٧٢٨ ق.م. إلى سنة ١٦٨٦ ق.م.) من توحيد كافة الاستقرار الداخلي في المراق القديم وبداي عصر يعرف بالعصر الذهبي في تاريخ المراق .

مصر الدولة البابلية الأولى :

يعتبر حمورابي شخصية فذة جديرة بالذكر تجمع بين شخصية المصلح الداخلي والمشرع القانوني والسياسي والمحارب العظيم . وبعد أن تمكن حمورابي من الانتصار على الحيلاميين بدأ في التوسع العربي والسياسي في الشرق والشمال الشرقي ومن أهم

المناطق التي تمكن من الاستيلاء عليها منطقة أششونا أو تل أسمر وكذلك احتل مناطق
 الآشوريين في الشمال . ولقد كانت مدينة ماري (تل السمرى) في أعلى الفرات منافسا قويا
 للدولة البابلية الاولى بالإضافة الى السيلاميين . ولئن حامورابي تمكن في السنة الثانية
 والثلاثين من حكمه من الاستيلاء على ماري . وماري من أهم مدن ميزوپوتاميا وكانت مركزا
 سياسيا وعلميا واقتصاديا . ولقد دلت الآثار التي عثرت في هذه المنطقة والتي قام بها
 الفرنسيون أن قصر الملك في مدينة ماري يزيد في مساحته على ١٥ فدانا . وكان هذا القصر
 يحوى ادارات مختلفة منها مدرسة للكتاب . وقد اكتشفت في أرشيفات هذا القصر ما يزيد
 على ٢٠ ألف لوحة طينية تمثل المراسلات الدبلوماسية المتبادلة بين ملوك أو حكام مدينتي
 ماري وخاصة الملك زمرى ليم Zimrilim وبين حامورابي ملك بابل .

ومن أهم الوثائق التي تدوم المؤرخ في ميمونة لوحات ماري هي الوثيقة التي شهِدت
 محاصرة حورابي للملك شمش أداد الاول ملك آشور وهذه الوثيقة تصدق لحد ما مشككة
 تأريخ زمن حامورابي أو المدة التي كان فيها حاكما للدولة البابلية الاولى وآخر هذه
 الآيات تقول انه كان -١٠٠ في المدة بين سنة ١٧٢٨ سنة ١٦٨٦ ق.م .

وأهم أثر خالد من عهد الملك البابلي العظيم حورابي . وقانونه الشهير بقانون
 حورابي The code of Hammurabi وهذا القانون حالج كافة المسائل الاجتماعية
 والتجارية ومسائل الأحوال الشخصية وغيرها .

ونصوص هذا القانون صريحة في أحكامها . وهي تتبع التقليد السامي القائل
 بأن العين بالعين والسن بالسن وما الى ذلك من طرق المحاكمة بالمثل . ومن أهم
 الظواهر التي تسترعى انتباه المؤرخ . وورد نزع التشابه الموضوعى النسبى بين نصوص هذا
 القانون وبين مضمون ما ورد من بعض نصوص التوراة على الرغم من اختلاف الملامح التي تبرز
 إليها هذه الشرائع . وقد حاور المؤرخون أياد تفسير على لهذه المشكلة ولكن الحقيقة
 أن هذا التشابه الموضوعى لا ينتمى بأي حال من الأحوال من تدرج أهمية نصوص العهد
 القديم . ويحتمل أن الحوادث والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمعات السامية مثل المجتمع
 البابلي والمجتمع الآشوري والمجتمع العبري وغيرها قد انتشرت بدرجات متفاوتة في هذه
 المجتمعات واعتاد الانسان على استخدام بعض هذه الحوادث والتقاليد العلمية والمسامية
 الاصل بالإضافة الى بعض التقاليد المحلية . والكتب المقدسة لنا رسالتنا الدينية الخاصة
 بها وقد تضرعت الى بعض الحوادث والتقاليد السائدة في المجتمعات في ذلك الوقت على
 سبيل التوجيه والحوظ والإرشاد ولا ينقص هذا التشابه النسبى من منزلتها . وقد أدرك المؤرخ

من هذا التشابه الموضوعي ليس فقط فيما يتعلق بالمعاملة بالمثل، في قانون حمورابي في ظاهرة المثبني بل أيضا هناك التشابه بين مزامير سيدنا داود عليه السلام وبين أنشودة سون . وما يستلزم انتباه المؤلف أن حق الطلاق في قانون حمورابي قد أطلق لكسـ الرجل والمرأة ولكنه لم يحط إلا للرجل، في نصوص التوراة . وقد احتم قانون حمورابي بالمرأة كأساس في المجتمع وضرورة المحافظة على حقوقها المدنية . وقد اعترف القانونيون جليزي المدني بأولوية قانون حمورابي في هذا الصدد .

ومن الأمثلة المتعلقة بالمجتمع وضرورة المحافظة عليه في قانون حمورابي النصـوص صحة مقتل المارق الذي ثبت عليه التهم وكذا قتل شائد الزور التي تؤدي شهادته إلى نية التهم وإلى قتل المهندس البحاري الذي يثبت أفعاله في عملياته الهندسية قام ببناء وتجهيز مئذنة تدمر منزل على أصحابه . وفيها يتعلق بالزنى يحاقب كل من الزانية نية بالقتل .

وقد نظم هذا القانون العمليات التجارية الخاصة بالبيع والشراء والتأجير والربـنـة الحقوق وما يتصل بذلك .

وقد بدأت مظاهر ضعف ونزاهة الدولة البابلية الأولى تظهر في عهد الملكـ رـالونا . ومن أهم أسباب ضعف الدولة البابلية الأولى تدخل عناصر جديدة في شـشون إاق القديم وهي العناصر الكاشية Kassites وكذلك تأسيس أسرة في جنوب بابل باسم أسرة القطر البحري Sea land dynasty ومؤسسها سامي الاصـلـ أن بين ملوكها الكثير من الأسماء السومرية . وقد استمر حكم أسرة بابل الأولى في نجاح بين ناصر الكاشية في الشمال والشرق وعناصر أسرة القطر البحري في الجنوب . هذا بالإضافة أن الدولة البابلية الأولى قد حوصت قرب نهايتها على أيدي الهــثـيـتـيـt

أسرة الكاشية

المصر الكاشي في تاريخ ميزوبوتاميا عصر غامض حتى الآن نظرا لقلة المصادر التاريخية يمكن التعرف على حقائق هذا العصر في المستقبل بعد دراسة نتائج الحفائر وهذا

بمصر مصر الاسرة الكاشية هو عصر دولة بابل تحت حكم الشعوب الكاشية . ودام هذا العصر إلى الخمسة عشر مائة سنة و يعتبر مثالا واضحا من أمثلة النزاع السياسى والوحدى بين بابل الكاشية التى يحكمها الكاشيون وبين الدول المرافقة سواء أكانت أسرة القطر البحرى فى الجنوب الملاميين فى الشرق والجنوب الشرقى والاشوريين فى الشمال والشمال الشرقى . وقد سادت فى قوة الاشوريين تحتل مكانا ظاهرا فى ميدان الشرق الادنى القديم فى ذلك الوقت أى حوالي منتصف ألفى الثاني ق.م . وتظهر قوى سياسية هامة فيه مثل دولة الحيثيين Hittites ظهرت فى الاناضول Anatolia . فى بوزاز كوى . ومثل دولة ميتانى Tittanni التى سماها المصريون نهارين Naharin وسكان هذه الدولة الأخيرة رعون باسم الحوريين Hurrians والسومريين Suberians . هذا بالإضافة ظهور الامبراطورية المصرية الاولى فى عهد الاسرة الثامنة عشر امبراطورية تحتسمى الثالث نحتب الثانى .

وقد سبق القول أنه بعد نهاية حكم حامورابى بدأت تظهر فى الشرق الادنى ديم مميزات من الشعوب الهندية الاوربية محاولة التدخل التدريجى فى شئون الشرق دنى القديم وربما يفسر ذلك ظهور الكاشيين والميتانيين والحيثيين والمكسوس فى ذلك فت نسبيا . ولذلك يعتبر المون هذه الفترة أنها تمثل مصرا دوليا عاما تظهر فيه واضح تشابه السياسة الدولية واتصال الشعوب المختلفة بين دول الشرق الادنى القديم .

أما عن الكاشيين أنفسهم فهم فى أصلهم قبائل جبلية جاءت من العراق الى الشرق جبال زاغروس فى ابتداء تكون الاسرة البابلية الاولى وقد اختلف المؤرخون ازاء أصل اشيين الميتانى هل هم عناصر هندية اوروبية ؟ أو عناصر عيلامية ؟ .

وبالرغم من أن بعض ملوكهم حافظوا على أسماؤهم الأصلية وكذا عبادة آلهتهم اندم بعد احتلالهم البابلى اعتنقوا الديانة البابلية وجمعوا آلهتهم والالهة البابلية حكم بابل فى العصر الكاشى ٣٦ ملوكا كاشيا وأولهم الملك كداش Gaddash ثم ملوكه الآخرين مثل أكم ثم كاشتيلياش الاول . وقد نجح الكاشيون فى انهاء أسرة طر البحرى جنوب العراق وكان هذا عملا سياسيا له قيمته فى تثبيت نفوذهم فى بابل .

ومن مظاهر النامية الدولية فى العصر الكاشى وثائق وخطابات ، والعمارة شسورة ونى اللغات الطينية المكتوبة باللغة الاكادية والخط المسمارى ونى خطابات ادلة بين أمنتب الثالث وأمنتب الرابع وبين ملوك الشرق الادنى القديم . وقد تأسس لك الكاشى كداشمان انليل الاول سياسة الصداقة مع الملك المصرى أمنتب الثالث وزوجه

أحدى إخوانه وتدل هذه مراسلات الدولية المتبادلة بين ملوك الشرق الأدنى القديم في ذلك الوقت على مدى الأثر على السياسة والخصارى المباشرين لهذه الدول - دول الشرق الأدنى القديم - وخاصة أن خالجهما مكتوبة باللغة الأكادية والمكتوبة بالخط المسماري وبالرغم من أن الكاشيين تمسوا من التحكم في جنوب العراق، والتغلب على أسرة القطر البحري إلا أن الآشوريين في الشمال أخذوا يحتلون بابل الكاشية محاولين التوسع جنوباً . وقد وجد حال وجود دولة ميتاني ودولة الحيثيين في غرب العراق أو شمال غربها دون توسع الدولة الآشورية بناء الحرب في ذلك الوقت ، وقد تمكن الآشوريون من الهجوم على بابل الكاشية وإنهاء حكم الكاشيين وضمها إلى الدولة الآشورية . ولو أن ذلك الانتصار الآشوري لم يسد طويلاً لأن النهاية الحقيقية للكاشيين ، كانت على أيدي الحيلاميين الذين هاجموا بابل الكاشية وشبهوا ونقلوا الكثير من آثارها إلى نينوى (وقد وجدت آثار بابلية في سوسة مثل لوحات عاموري المسمورة) .

ومن المحتمل أن الحيلاميين استقروا مدة قصيرة في بابل بعد هزيمة الكاشيين ولكن حكم بابل انتقل إلى أسرة جديدة لمدة ١٢٠ عاماً . وهذه الأسرة تحرف باسم أسرة باهي . وهذه الأسرة بابلية واسم باهي نسبة إلى مان في مدينة إيسين جاء منحه مؤسس هذه الأسرة . وقد تمكن العراق القديم في عهد هذه الأسرة ١١ ملكاً وتمكنوا من هزيمة الحيلاميين وكذلك تمكنوا مع الملوك الآشوريين في الشمال . والواقع أن تاريخ هذه الأسرة تاريخ كفاح سياسي وعسكري بين الآشوريين في الشمال . ولو أن ذلك الكفاح يتخلله بعض فترات السلام والهدوء والنزوح السياسي بين بابل تحت أسرة باهي والآشوريين ولكن ظيهور عامل جديد وهو قوات القبائل الآرامية لبابل في ذلك الوقت كان له أثره على أعضاء هذه الدولة البابلية وانتقال القوة السياسية إلى عناصر غير بابلية .

وقد رأت هذه العناصر الآرامية التدخل في حوالي نهاية الألف الثاني وأوائل الألف الأول ق.م . وقد نتجت هذه القبائل الآرامية السامية قد أسست أماكن لها على نهر الفرات . وبدأت في التغلغل في بابل من تلك الأماكن . وقد ظلت الدولة البابلية ضعيفة الشأن في تاريخ الشرق الأدنى القديم حتى أواخر القرن السابع ق.م . حيث نشأت الدولة البابلية الجديدة المسموعة باسم بابل الكلدانية والتي استمرت من ٦١٢ إلى ٣٥٦ ق.م .

الدولة الحيثية القديمة والدولة الحيثية الحديثة

لم يصل المؤرخ حتى الآن الى التصرف الدقيق على كيفية نشأة المملكة الحيثية ولكنه يرجع تأسيس هذه الدولة الى ملك حيثي اسمه لابارناس Labarnas ويعتبر نتائج الحفائر هذه الحقيقة وقد خلف لابرناس الملك خاتوشيليس الاول وفي عهده توسعت الدولة الحيثية القديمة نحو الجنوب الشرقي ، وفي عهد الملك التالي مرصيليس تمكنت هذه الدولة الحيثية القديمة من الوصول والاستيلاء على بابل وانما حكم للدولة للبابليين الاول كما سبقت الاشارة . وقد اختلف المؤرخون في تاريخ زمن هذا الاحتلال الحيثي في الوقت لبابل ويغلب أنه كان حوالي 1600 ق م ، وكان من عوامل اضماع الدولة الحيثية القديمة ظهور العناصر العمورية في شمال شرق سوريا وفي المنطقة التي أطلق عليها فيما بعد ميتاني . وقد عقدت الدولة الحيثية القديمة في نهاية مراحل تاريخها محاربة مع امم عديدة الولايات الحيثية الجنوبية وهي ولاية كيزوراتا في آسيا الصغرى ويمكن أخذ ذلك كدليل على مدى ضعف تلك الدولة الحيثية القديمة . وقد تضمنت مطالبات تل التمارنة المصرية بعض الغارات الى منطقة آرزوا Arzawa في الاناضول . ويمكن اعتبار هذه أيضا كدليل على استقلال هذه الولاية ، أيها من الدولة الحيثية القديمة . ولم تتمكن هذه الدولة الحيثية القديمة من الاستقرار بعد توالي مظاهر الضعف الداخلي والخارجي عليها الا بظهور ملك حيثي قوي وهو الملك شوبيلوليوما وقد أدى ظهور هذا الملك القوي الى بدء عصر جديد في تاريخ الحيثيين وهو عصر الدولة الحديثة الحديثة . واستمر حكم هذا الملك للدولة الحيثية من 1380 الى 1346 ق م . وقد اهتم هذا الملك بتدعيم وتنظيم عاصمة مملكته وهي خاتوساس (وهي بوزازكوي) بالاسوار المحصنة . وبدأ بعد ذلك في التوسع الخارجي ثم بمواجهة دولة ميتاني التي كان يحكمها في ذلك الوقت الملك الميتاني توشرتا والآخر كسسان متحالفا مع ملك مصر المنحرب الثالث ضد الحيثيين . وقد تابع شوبيلوليوما هجومه على دولة ميتاني محاولا الاستيلاء على عاصمة ميتاني وهي واسوكان . وقد نجح الحيثيون في الاستيلاء عليها وقد ساعدتهم عدم تدخل المصريين في ذلك الوقت لمساعدة ميتاني وذلك لانشغال المصريين في مشاكلهم الداخلية في ذلك الوقت . ولم يكن توسع الحيثيين في منطقتهم سوريا وميتاني انما لدولة ميتاني فقد كان سوء السياسة الخارجية لملك توشرتا للميتانيين أثرا في نشوء حروب ميتاني جديد يحاول التحالف مع الدولة الآشورية بدلا من التحالف مع المصريين ضد الحيثيين . وكان ملك آشور في ذلك الوقت هو الملك آشور أو باليت ، وقد تمكن الحزب الميتاني الجديد من قتل توشرتا وتلاه في الحكم الملك أرتاتا ما ثم شوتارنا الذي تمكن ان يهزم في تالكوما والآشوريين بدلا من المصريين . واتبعه ابن توشرتا المقتول بعبسو

الحيشيين مكونا حزبا ميثانيا يعيل الى الديمشين ، وقد تطلب النفوذ الاشوري طمس ميثاني وعلى النفوذ الديمشي غمينا . ضم الاشوريون ميثاني الى الامبراطورية الاشورية وبذلك أصبح الاشوريين مواطنين للحيشيين مباشرة ولا توجد دولة معاهدة بينهما وقد بسدت مظاهر التفكك السياسي بشكل واضح في الدولة الحيشية الحديثة بعد وفاة شوبيلولوما .

ومن مظاهر هذا التفكك انسلخ بعض الولايات الحيشية وقيامها بالاستقلال بمقلل اعتمادا وقد حاول الملوك الحيشيين التمسك في بقايا النفوذ الحيشي واخضاع الشبورات المحلية وترك مرسيلين الثاني الدولة الديمشية لخلفه الملك الحيشي موائلين امبراطور مملكة حيشية ثابتة الاركان وحكم من سنة ١٣٦٥ الى ١٢٦٠ . وفي تلك الفترة كان الملك المصري سبتي الاول يحكم مصر وتلاه رمسيس الثاني . وقد حاول المصريون استرجاع امبراطوريتهم المصرية في ذلك الوقت فأرسل سبتي الاول الجيوش المصرية الى سوريا وفلسطين ولكن الحيشيين تمكنوا من صد هذه الجيوش وفي عهد رمسيس الثاني حدث الانتكاس السياسي والحربي بين الحيشيين والمصريين وحدثت موقعة قادش المشهورة في السنة الخامسة من حكم رمسيس الثاني . وبالرغم من أن رمسيس الثاني قد ذكر في النصوص المصرية انتصاراته في هذه الموقعة ولكن الحقيقة أن المؤرخ يصعب عليه التمييز بصورة نهائية ازاء هذه المسئلة . فكللا الطرفين يؤكد انتصاره ولا يمكن الاعتراف بالانسحاب .

وهناك بعض الملاحظات الهامة من معركة قادش ونتائجها بصفتها معركة تبين الكفاح السياسي والحربي بين الديمشين والمصريين .

يتبين لنا من دراسة النصوص المقارنة المصرية والديمشية أن رمسيس الثاني قد خدمه الحيشيون حربيا في معركة قادش وذلك بأن وضعوه في كمين حربي وقد أحاطه الاعداء ولم يتمكن ضباط الاستكشاف بجيشه الوقوف على حقيقة هذا الكمين . ولا شك أن نتيجة هذا الكمين أن تراجع رمسيس الثاني وجيشه وتمكن من الاقتت شخصيا مع بعض حشاشيته من هذا الكمين بشجاعة سجلها التاريخ . وقد اعتبرت النصوص المصرية هذه اللجاة من هذا الكمين انتصارا حربيا ماثلا وانقادا من الآلية المصرية للآلة المصرية (الملك) . ولما كان الضعف الاساسي من المعركة هو الاستيلاء على قادش نفسها وطرد الحيشيين منها ان عدم تحقيقه يمكن تفسيره بأنه هزيمة . ويرجع رمسيس الثاني الى مصر معلنا انتصاراته الماثلة وسط رد لبيك على حيطان المعاهد المصرية وأكد بصفة خاصة على كيفية اغلاته ونجاته شخصيا مع حاشيته ويقول النص المصري مامناه** اعطى الملك بعدد يتنصر بالقيوم وخمس مائة موكمة مكونة من فرسان حيشيين بالاضافة الى عدد آخر من الفرسان الذين جاءوا من ولايات أرزاوا وكيزواتا

وحلب وأوكاريت (رأس شمرا) وقادش وأتبعه الملك المصري إلى الاله آمون الذى ساعده نفسه الحال، ويقول النص المصري "وتحولت هذه المركبات والفرسان الكبيرة إلى تلال من الجثث أمام غرساني" وتؤكد النصوص المصرية شجاعة رمسيس الثانى وجبن الملك الحيثى مواتليسى فهو لم يسانم المصريين مباشرة ويجدر بالذكر أن التفكير المصري فى ذلك الوقت لا يمكن أن يتصور هزيمة حربية كهذه للاله (أى الملك) . ولذلك بالغ رمسيس الثانى فى التعيير عن انتصاره هذه مراعىهما انتصارا للاله آمون . وهكذا استدلال بأن يقنع الشعب . وقد سجل رمسيس انتصاراته فى مسابد الكرنك والاقصر والرسميم وابوسنبل وأبيدوس .

وقد استمرت العلاقات المصرية الحيثية متوترة بعد معركة قادش . فقد قام رمسيس الثانى بحملة حملات بعد هذه المعركة فى فلسطين وسوريا محاولا استعادة الامبراطورية المصرية ولكن هذه العلاقات المتوترة انتهت أخيرا بحقد معاهدة تحالف هامة ومشهورة بين المصريين والحيثيين . ولدينا النصين المعدى (المكتوب بالخط الهيروغليفى والحيثى المكتوب باللغة الاكادية والخط المسارى . والملك الحيثى المعاصر لهذا التحالف هو حاتوسيليس الثالث Hattusilis III الذى حكم من ١٢٨٢ الى ١٢٥٠ ق م . ويقول النص المصرى فى هذه المعاهدة : أن الملك الحيثى حاتوسيليس أرسل وتيسود إلى رمسيس الثانى لطلب السلام بين الطرفين . ومن الجانب الاخر يقول النص الحيثى أن رمسيس الثانى قد اقترح لى حاتوسيليس عقد معاهدة سلام وتحالف بينهما على ذلك فكلا الطرفين احتفظ لنفسه بالحزب النفسى بشأن طلب حق عقد المعاهدة) .

وتنقسم هذه المعاهدة الى عدة أقسام وتبدأ بالمقدمة التاريخية التى تذكر أنسب كانت هناك حروب ومعاهدات سابقة بين المصريين والحيثيين وتؤكد أن رغبة الملكين رمسيس الثانى وحاتوسيليس الثالث فى السلام والتحالف والصداقة . ثم يلى ذلك القسم القسم الخامس الذى يؤكد معاهدة عدم الاعتداء . ثم يلى ذلك التحالف الدفاعى ضد أى عدو خارجى منجم إلى إحدى هاتين الدولتين . ثم يلى ذلك التيسود على تلك الوثيقة وفى هذه الحالة التيسود من الالهة المصرية والالهة الحيثية . وتدهيما لهذه المعاهدة السياسية تترجم رمسيس الثانى أميرة حيثية ربما كانت هذه الاميرة ابنة حاتوسيليس الثالث . وعاشيت الدولة الحيثية الحديثة فى رخاء وسلام فى عهد الملك حاتوسيليس الثالث الذى انتقل إلى عاصمة ملكه حاتوسار (بوغازكوى) واعتنى حاتوسيليس الثالث بارشيفات الرثاق . وتسدل الوثائق التى ترجع الى عصر الملك حاتوسيليس الثالث نه أصدر عدة قوانين ديبسية وإدارة لامادة النظام والسلام فى أبناء الدولة الحيثية . ولأن بالرغم من هذه المعاولات فقد ساد الاضطراب النسبى فى المقاطعات الخريفية والجنوبية الخريفية وصفت خاصة مقاطعة

أرزاوا محاولة الاحتلال .

وتلى حاتوسيليس الثالث على المرشايه توه تكياس الرابع Tudehliyas IV من ١٢٥٠ الى ١٢٢٠ ق.م. وقد اعتنى هذا الملك بالمسائل الخلقية ولم يدخل عدة اصلاحات في هذا الشأن وخاصة في الاعياد والمواسم الدينية بهذا وكذلك أظهر هذا الملك بعض النشاط الحربي في غرب آسيا الصغرى وخاصة في ولاية أسوا Assuwa التي أعطت كلمة آسيا للقارة الآسيوية وضمها الى الدولة الحيثية . هذا وقد بدأت بعض مظاهر ضعف الدولة الحيثية وكان من العوامل التي أدت الى ذلك محاولة الولايات الصرية في آسيا الصغرى وكذلك الشعوب الهندية الأوروبية في جزر بحر ايجه وبلاد اليونان التمرق أو التدخل في شمسكون الولايات الحيثية وفي الواقع أن منطقة شرق البحر الابيض المتوسط قد شابت ما يسمى ١٤٠٠ الى ١١٠٠ ق.م. تحديلا في كيانها البشري . وهذه الحقيقة من الزمن في الشرق الأدنى القديم يمكن وصفها بأنها عصر دوى اتصل فيه المصريون بالحيثيين وكذا العزريوتاميين وكذلك ظهرت في تلك الفترة في شرق البحر الابيض المتوسط عناصر هندية أوروبية مثل اليونانية واللاتينية وجاءت هذه الشعوب نتيجة للضغط البشري من الشرق والشمال الشرقي وقد أطلقت عليهم النصوص المصرية اسم " الشماليون في جزرهم " وأطلق عليهم أغلب المؤرخين " شعوب البحر " وتظهر هذه الشعوب في النصوص المختلفة تحت أسماء مختلفة مثل شلدن الفلسطينيين Philistines والدردانيون Dardanians والشردان Sharden والشكلش Shekelesh ويغلب انهم من سردينيا وصقلية ولا تصرف المواطن الأصلية لبعضهم مثل الكشكش Keshkesh والارون Irwens . وقد أثرت هذه الشعوب البربرية تأثيرا قويا في تاريخ الشرق الأدنى القديم في تلك الفترة (بين ١٤٠٠ - ١١٠٠ ق.م.) وسبقت الإشارة الى أن بعض هذه الشعوب قد انتقلت بالولايات الحيثية وكانت من أسباب اضمحلال كيانها . وفي عهد الملك أرنوندا الرابع Arnuwandas IV بسدت مظاهر هذا الضعف واضحة وتلاه أخوه الملك شوبيلولوما الثاني وفي عهده انتهت تقريباً الدولة الحيثية الحديثة . وتقول المصادر المصرية أن شعوب البحر في الجزر الموجودة في شرق البحر الابيض المتوسط اختلطت بالحيثيين وانتشرت عظمة الحيثيين واحتلت شعوب البحر المحروقة باسم الفلسطينيين المنطقة التي سميت فيما بعد فلسطين وكذلك تمكن الفريجيون Phrygian في شمال غرب آسيا الصغرى من بسط سلطانهم على هذه المنطقة وبالرغم من انتهاء الدور الآسيحي الخطير الذي لعبه الحيثيون في الشرق الأدنى القديم بانتهاء الدولة الحديثة إلا أن النصوص الآشورية تستمر في الإشارة إلى الامبراطورية الحيثية والمدنية الحيثية وتطلق على منطقة سوريا وحبال طوروس بأنها منطقة بلاد حاتس .

والواقع أن الحضارة الحيثية استمرت في شمال شرق سوريا وجنوب شرق الأناضول على الرغم من زوال النفوذ الحيثي الميامي القوي في تلك المناطق . وقد عثر علماء الآثار على عدة آثار في سوريا تمثل نصوص مكتوبة بالخط الحيثي الهيرغليفى Hittite Hieroglyphic ومعاصرة لنهاية الألف الثاني قبل الميلاد وأوائل الألف الأول قبل الميلاد . وكل هذا يدل على أن المدينة الحيثية قد أثرت في تلك المناطق تأثيرا قويا حتى عصر الإمبراطورية الآشورية . ويغلب أن هذا التأثير الحيثي في سوريا كان بصفة خاصة آتيا من ولاية كيزروواتنا المجاورة . وقد نشأت عدة ممالك سورية ضعيفة متأخرة بذلك النفوذ الحيثي مثل مملكة أرباد Arpad ومملكة حماة Hamath ومملكة حلب Aleppo . ومن تتبع تاريخ هذه الممالك السورية الصغيرة في نصوص السجلات المجاورة مثل آشور وأرامات Urartu, Ararat وإسرائيل وقد وقعت تحت سيطرة الممالك السورية الصغيرة تحت النفوذ الآشوري الجديد الذي بدأ يحتل مكانة كبرى في الشرق الأدنى القديم . وكذلك كانت العناصر الآرامية Arameic في أطلسي الفرات قد أسست ممالك في سوريا . ونجحت في ذلك وأسست مملكة دمشق Damascus وكان لوجود هذه العناصر الآرامية ثم العناصر الآشورية أثره الكبير في إنشاء النفوذ الحيثي في منطقة سوريا وكانت اللغة الآرامية اللغة الدولية في الألف الأول قبل الميلاد في الشرق الأدنى القديم وبالتالي المظنة الحيثية في الشرق الأدنى القديم انتقل ميزان القوى السياسية إلى أيدي دولة جديدة صارت لها السيادة السياسية والعسكرية في الشرق الأدنى القديم وهذه الدولة هي الدولة الآشورية .

((الشرق الأدنى القديم في الألف الأولى ق.م))

العراق القديم — الدراسة الآشورية

كانت الزعامة السياسية والعسكرية في أثناء الألف الأول ق.م للعراق القديم وإيران في منطقة الشرق الأدنى. لقد أنتهزت منطقة شمال شرق العراق وبنى منطقة آشور فرصة ضعف الدولة البابلية تمتعت بفترة الهدوء في غرب آسيا. والواقع أن آشور ترجع في مراحله تكوينها إلى الألف الثالث ق.م أي إلى بداية العصر البرونزي. وقد أشارت النصوص التي عثر عليها في منطقة نوزي *Nuzi* إلى حكومة مدينة آشور. وهذه النصوص ترجع إلى عهد الدولة الأكادية. ويضم تقسيم التاريخ الآشوري إلى ثلاثة أقسام رئيسية —

- أ ... آشور في مرحلة تكوينها من ٣٠٠٠ إلى ١٧٠٠ ق.م.
- ب ... عصر المملكة الآشورية من ١٧٠٠ إلى ١١٠٠ ق.م.
- ج ... عصر الإمبراطورية الآشورية من ١١٠٠ إلى ٦١٢ ق.م.

وقد بدأ الآشوريون في الاستمرار في منطقة شمال شرق العراق القديم في بداية عصر العصر التاريخي كحضارة سامية - سامية. إلى الشعب الشمالية الشرقية. وقد اعتدت آشور على ما أنتهت عهديات في غرب العراق القديم في أثناء مراحل تكوينها. غنى عهد الدولة البابلية الأولى امتدت آشور على الدواخل الداخلية بالإضافة إلى النظم والتقاليد الآشورية الموروثة. وأهم الشخصيات الآشورية التي كان لها دور كبير في مرحلة تكوين الدولة الآشورية الملك شمشي أزار الأول (من ١٧٤٦ إلى ١٧١٧ ق.م) والملك آشور أوباليت (من ١٣٦٣ إلى ١٣٢٨ ق.م). ولم يبق للدولة الآشورية في مراحله تكوينها دوراً سامياً في تاريخ الشرق الأدنى القديم من الناحية السياسية. ولكن كان لها أهمية بالغة من الناحية العسكرية. فقد لعبت دوراً التبادلي أثره البعيد حتى منطقة شمال شرق الأناضول ودوراً منطقة قبادوقيا. وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى انتشار اللغة الآشورية المكتوبة. العهد المسماري في هذه المنطقة وبالتالي في صميم الأناضول أي في الدولة الحورية. في الألف الثاني ق.م. الحورية بالخط المسماري بجانب كتابتها بالخط الميريوفيني.

أما في العراق القديم قامت به آشور في تاريخ الشرق الأدنى القديم دوراً هاماً في مرحلة الإمبراطورية وذلك ابتداء من عهد الملك الآشوري تيجلات-بليز الأول الذي حكم من

- (١) آشور نامريال الثاني حكم من ٨٨٣ الى ٨٥٦ ق.م.
- (٢) شلمنصر الثالث حكم من ٨٥٨ الى ٨٢٤ ق.م.
- (٣) اداد نيرارى الثالث حكم من ٨٠١ الى ٧٨٢ ق.م.
- (٤) سجلات بليزر الثالث حكم من ٧٤٥ الى ٧٢٧ ق.م.
- (٥) سرجون الثاني حكم من ٧٢١ الى ٧٠٥ ق.م.
- (٦) سنحريب حكم من ٧٠٤ الى ٦٨١ ق.م.
- (٧) اسرحدون حكم من ٦٨٠ الى ٦٦٦ ق.م.
- (٨) آشور بانيبال حكم من ٦٦٨ الى ٦٢٦ ق.م.

وفي عهد هؤلاء الملوك المظلم نجحت الدولة الآشورية في تكوين الامبراطورية الآشورية في منطقة الشرق الادنى القديم . ومن أهم المدعائم التي ساعدت في نجاح تكوين هذه الامبراطورية - تمام الملوك الآشوريين بالجيش الآشوري اهتماما بالغا . فقد خلقوا منه أكبر قوة ميكانيكية ضاربة في منطقة الشرق الادنى القديم أنزلت الرعب في قلوب أعدائهم . وقد سجل الملوك الآشوريين في نصوص حولياتهم ^(١) الكثير من قوتهم العسكرية ونشاطهم الحربي الضخم . وكذلك عبر هؤلاء الملوك عن انتصاراتهم بالثغث على الدخاط . هذا بالاضافة الى الآثار الأخرى الخاصة بكل ملك على حدة مثل المسلة السوداء الخاصة بالملك شلمنصر الثالث . وقد واجه هؤلاء الملوك الآشوريين معارضة ومقاومة الشعوب والدول التي حاولوا احتلالها وخاصة الشعب البابلي في جنوب العراق والشعوب السامية المختلفة القاطنة في سوريا وفلسطين وكذلك الشعب المصري أثناء احتلالهم لمصر . وقد حاولت هذه الشعوب من جبهة الاتحاد وذكرت النصوص الآشورية قيام عدد من الاحلاف الدفاعية ضد النفوذ الآشوري . وكانت قيادة هذه الاحلاف في مملكة دمشق . وعلى الرغم من خلواصر هذا الاتحاد بين هذه الشعوب الا انهم لم تستطع الوقوف أمام النفوذ الآشوري . فقد نجح

الآشوريون في إزالة هذه المقاييد وبالتالي تكوين الامبراطورية الآشورية . وقد اتبعت
الآشوريون سياسة العنف والقسوة تجاه الشعوب التي اخضعوها لنفوذهم . ويمكن ملاحظة
هذه المحاملة القاسية بالنسبة لهذه الشعوب ما فعله الآشوريون في مصر الفرعونية وخاصة
في مدينة طيبة العاصمة المصرية السريّة من نهب وسلب وتقتيل الكهول والنساء والأطفال
أثناء فترة احتلالهم لمصر . أما في اسرائيل فقد اتبع الآشوريون سياسة الترحيل أي نقل
جزء كبير من السكان من فلسطين الى مناطق أخرى حتى يطمئنون الى عدم قيام هؤلاء السكان
بثورات ضد النفوذ الآشوري مرة أخرى . وعلى الرغم من استخدام هذه الوسائل المختلفة
في تدعيم كيان الامبراطورية الآشورية الا أن الثورات ومحاولات التحرير التي حاولت هذه
الشعوب القيام بها للتخلص من النفوذ الآشوري قد استمرت حتى نهاية هذه الدولة . وما
يلاحظه المؤرخ أن هذه الثورات كانت تقوم في فترات ضعف الحكومة المركزية في آشور وذلك
أثناء تولي ملك ضعيف أو غير فعال ما تتميز به هذه الشعوب هذه الفرصة وتقوم بالثورات الواحدة
تلو الأخرى . وكان من أهم واجبات الملك الآشوري بعد توليه الحكم مباشرة القيام بحملة
قوية لاختصاص هذه الشعوب بالثروة . ومن ناحية أخرى كان يستلزم ذلك وجود جيش آشوري
قوي في المناطق الخاضعة للنفوذ الآشوري ووجود هذا الجيش القوي يستلزم بالتالي
ميزانية خاصة للمنفذ على هذه الجيوش الموجودة في الدولة الآشورية . وبما هي
المراد كانت الضرائب المثلثة التي تتكفل بدفعها هذه الشعوب من الموارد الأساسية
لهذه الميزانية بالإضافة الى ما تسلمه هذه الجيوش الاقليمية من ثروات البنادق الخاصة لها .

وتذكرت النصوص الآشورية الكثير من قوة وعظمة الملوك الآشوريين وقد سجل
شلمنصر الثالث في نصوصه ما معناه أنه الملوك القوي ملك العالم الذي تمكن من تدمير
أشور كما نهضهم الآشوريين . وقد ذكر آشورنايرال الثاني في نصوصه أيضا أنه
قد صبح بالدم الأحمر

وقد تلى شلمنصر الثالث ملوك الامبراطورية الآشورية ابنه الملك شعش أداد الخامس
والملكة الشهيرة سميراميس ثم ابنها الملك أداد نيراري الثالث ثم شلمنصر الرابع وأشوردان
الذئب وأشورنيراري الخامس . ولم تكن الامبراطورية الآشورية عظيمة الشأن في عهد الثلاثة
ملوك الاخيرين زواله بسبب ضعف سياستهم في حكم هذه الامبراطورية ولم تستعد الامبراطورية
الآشورية عظمتها الا في عهد الملك الآشوري تيلات بلينز الثالث وقد سمته نصوص العهد القديم (التسوراة)
القديم باسم الملك بول . وما يستحق الذكر أن نصوص العهد القديم (التسوراة)
قد ذكرت الكثير فيما يتعلق بالارتباطات الآشورية الاسرائيلية . وواجب المؤرخ تجاه

١. التراث القيم محاولة التعرف على الحقائق التاريخية التي ذكرتها النصوص القديمة
نصوص الآشورية . والدراسة المقارنة توضح الطريق في هذا الصدد . هذا مع العلم بأن
نصوص الآشورية قد بالغت فيما يتعلق بانتصارات الملوك الآشوريين . ويصعب على
لوح الآشوري الاعتراف بنوعية الملك الآشوري في موقعة من المواقع ولذلك تعتمد النصوص
شورية عن عدد من المواقع التي انتمت فيها الجيش الآشوري . ويلاحظ المؤرخ كـ
نصوص التي تشير إلى التصادم الحربي بين البابليين والآشوريين من ناحية وبـ
نصوص التي تضع للنفوذ الآشوري وعلى ذلك كان من الواجبات الأساسية التي تواجه الملك
شوري كما سبقت الإشارة توقف في وجه المعارضات التي تقم بها الشعوب المختلفة
في الواقع ضرورة "محاكمة" هذه الشعوب المختلفة على حد تعبير النصوص الآشورية
من مجموع الآشوريين على مصر والسلاطين من المحاولات الآشورية لتأديب الشعوب
وتحالف ضد النفوذ الآشوري . وكان ذلك في عدد كل من أسرجدون وأشوربانيبال . ولكن
، الرغم من نجاح الآشوريين في احتلال مصر إلا أنهم لم يتمكنوا من المكوث في مصر فترة
بليلة . فقد دام الاحتلال الآشوري لمصر من ٦٧١ إلى ٦٦٣ ق م .

وقد تولى الملك آشوربانيبال في . ستم الامبراطورية الآشورية ثلاثة ملوك آشوريين
ساف . وقد نتج عن تولي هؤلاء الحكام الضعفاء شئون هذه الامبراطورية الشاسعة
بماز الشعوب المحتلة لهذه الفرصة وبالتالي قيامها بالثورات المتتالية المتخلصة من النفوذ
شوري . وكان شعب بابل ، الذي سبق له احتلال مكانة رئيسية في النصف الاول من
لف الثاني ق م . في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، له الدور الفعال في انهاء
امبراطورية الآشورية واستعادة المكانة البابلية مرة أخرى وذلك في المرحلة المعروفة
بـ بابل الجديدة أو الدولة الكلدانية . وقبل التوصل إلى هذه التطورات السياسية
تاريخ الشرق الأدنى القديم يحسن الإشارة إلى بعض النواحي الحضارية الآشورية .

ومن أهم الظواهر المميزة للمدنية الآشورية نجاحها في إبراز قوتها العسكرية
وارة تسترعى انتباه المؤرخين . ولعل هذه . فالدار للنصوص الآشوريين وكذا للانتاج الفني

الآشوري يدرك مباشرة قوة هذه الدولة الآشورية في الناحية العسكرية وقد نجح الآشوريين في صنع الاسلحة والمركبات الحربية العدد يدي التي اعتمد عليها الجيش الآشوري في حروبهم أثناء مرحلة تثبيت اركان الامبراطورية الآشورية . واذا حاول المؤرخ أن يجد التفسير لهذه الظاهرة المميزة للشعب الآشوري وللحكومة الآشورية فربما يكون ذلك، التفسير متصلا بنشأتها الاولى . فقد قامت آشور في المنطقة الواقعة شمال شرق العراق وهي المنطقة الجبلية والتي سبق أن قلنا فيها وجوارها عدة شعوب جبلية مثل العناصر الجوتية والعناصر النحاسية هذا بجانب مرور عدة مداخل ندية أوربية مثل العناصر الحورية والعناصر السومرية خلالها مما نتج عنه ضرورة احتفاظ الآشوريين بمركزهم في هذه المنطقة الجبلية وضرورة استعدادهم للحرب لمواجهة هذه التحركات البشرية المستمرة خلال هذه المنطقة الجبلية كل ذلك قد خلق فهم طبيعة حربية في مر الزمن كنتيجة لتجاربهم وصراعاتهم المستمرة مع العناصر المجاورة وكان ذلك من الدوافع التي ميزت هذا العنصر الآشوري السامي من نواحي انتاجه المختلفة من المنصر البابلي السامي القاطن في جنوب بلاد الرافدين . وقد انعكست هذه الطبيعة العسكرية في انتاجهم الفني الى د كبير وليس معنى ذلك اقتصرهم على هذا النوع من الانتاج بل هناك انتاجهم الادبي والفني المسالم . ويمكن للمؤرخ تتبع بعض الامثلة من الانتاج الآشوري المعماري في آثارهم التي تركوها في عواصم الامبراطورية الآشورية وخاصة في آشور ونيينوى وخورسباد . وهذه المدينة الاخيرة هي عاصمة الامبراطورية الآشورية الاخيرة في عهد الملك سرجون الثاني ولذلك أطلق عليها أيضا اسم دورشاروكين نسبة الى الملك شاروكين الثاني أو سرجون الثاني وقد دلت الحفائر على الدور على بقايا القصر والقلعة والمدنية البوابة (١٢) في هذه العاصمة الآشورية . ويدل ارتباط القلعة بالمدينة على اهتمامهم بالناحية الحربية . هذا وقد ترك الآشوريون عدة أمثلة من النحت المستدير والنحت على الحاشط للملوك الآشوريين والمواقع الحربية المختلفة التي خاضوها وكذا لنشاط الملوك الشخصي المتبرهن شجاعته مثل مناظر صيدهم للأسود وقتلهم لهم (١٣) مثل منظر الملك آشوربانيبال وهو يضطاد الأسود .

وكما سبقنا الإشارة لم يقتصر الانتاج الآشوري على الناحية الحربية بل لقد خلص الملك الآشوري آشوربانيبال انتاج امبراطوريته بآثاره العائدة وهو المكتبة الملكية السطية في

صعيد نابوغي مدينة نينوى . ومن أعماله الخالدة أنه أرمل عدد من المبعوثين الى بلاد الشرق الأدنى القديم لجمع وترجمة المخطوطات الادبية التي قدمت الى دول هذه المنطقة وترك هذا الملك هذه الآثار العلمية الخالدة المكتوبة على اللوحات الطينية بالخط المسماري في كافة النواحي العلمية والتاريخية والدينية والادبية . وقد قدم الاشوريون تراثا خالدا في ميدان تطور العلم .

الدولة البابلية الكلدانية

سبقت الإشارة الى انتهاز البابليين فرصة ضعف آشور في الشمال ، وبدأوا غسي جميع قواهم وبالتالي تحرير بلادهم من النفوذ الاشوري وكان ذلك في عهد الملك البابلي الكلداني نابوبولسور ملك بابل الذي حكم من سنة ٦٢٥ الى ٦٠٥ ق.م . وقد بدأ هذا الملك عهدا جديدا في تاريخ العراق القديم هو عهد الدولة البابلية الكلدانية وكان اول واجب واجه هذا الملك هو ضرورة القضاء على النفوذ الاشوري في شمال العراق حتى يتمكن من التحكم في العراق كله وبذلك يؤمن . بدوره الشمالية وفي المنطقة التي سبقت ان هاجمت جنسوب العراق في السنوات السابقة . ونجح نابوبولسور في احتلال العاصمة الاشورية نينوى سنة ٦١٢ ق.م . ويستمر سقوط نينوى من أهم الأحداث التاريخية في ذلك الوقت لانه يعتبر انهاء للحظمة الاشورية والنفوذ الذي لمسته شعوب ودول منطقة الشرق الأدنى القديم . ولم يمتد اقتصر الامر على البابليين الكلدانيين في احتلالهم لنينوى بل امتلك معهم الميديون والكاشيون وقد قسم البابليون الكلدانيون والميديون والسكاثيون التركة الاشورية بينهم واستولى الميديون على المقاطعات الواقعة شرق وشمال نهر دجلة وكان نصيب الملك البابلي الغرب والجنوب . وبدأ البابليون الكلدانيون في احتلال مكان الصدارة في الدارة القديمة وبالتالي تكوين الامبراطورية البابلية الكلدانية وخاصة في عهد الملك الكلداني نابوخذ نصر الثاني الذي حكم من سنة ٦٠٤ الى ٥٦٢ ق.م . وقد واجهت هذه الامبراطورية منذ المشاكل غسي مراحل تكوينها وما يستحق انتباه المؤرخين . اولة المصريين في عهد نكا ومن ملوك الاسرة السادسة والعشرين المصرية الذي حكم من ٦٠٩ الى ٥٩٤ ق.م . التوقف في وجه التقسيم البابلي الكلداني واتبعه غيالاته والغارات ولكن في النهاية لم يزل انه الامبراطورية نصر الثاني وحسن

دراسة الفوا بن الاقتصادية والبشرية والسياسية في الاقليم السوري في أثناء العصر التاريخي

١. الاقتصاد

تعتبر هذه الناحية من أهم الفوا بن المرتبطة بتاريخ وحضارة الإقليم السوري منذ
عصور ما قبل الأسرات وأثناء العصر التاريخي . بل ان الحقيقة أن مخزن المهن بتفاصيله
السياسية سواء أكان ذلك في حكومات مدن الإقليم السوري أو ممالك الصغيرة ، مدرجة
فمنحة للناسية الاقتصادية التي حتر العلماء على عدد كبير من الأدلة الأثرية التي تثبتت
وأكثر مظاهر إنتاجها - وأول ظاهرة تلفت نظر الدارس في هذه الناحية الاقتصادية
لحيات تصدير واستيراد أو بالأحرى صليات تجارية على نطاق واسع مع الدول المجاورة
ميزوبوتاميا وفلسطين ومصر وقبرص . فمجموع نمو المجتمعات في هذه البريات واستئناف
بات المحلية ووجود حاجة ماسة للمواد غير متوفرة في المجال المحلي ، أتجه الانسان
ه المجتمعات إلى المجتمعات الخارجية باحثا من المواد اللازمة لعملياته الانشائية
سنة .

وأول مادة سورية كانت تعتبر بمثابة دعاية هامة في الاقتصاد في ذلك الوقت هي
١ . لجأ المصريون إلى سوريا طلبا في استيراد الخشب السوري اللازم لكافة
ات المصرية الخاصة والمامة . وكذلك لجأت ميزوبوتاميا إلى استيفاء حاجتها من هذا
السوري أيضا . ولير معنى استيراد هذا الخشب السوري هو مجرد الحصول عليه
في الحقيقة هناك مخزى كبير لهذه الصليات التجارية في ذلك الوقت هذا المخزى
اطلاق كل من المصريين والميزوبوتاميين والسوريين على عدد من التقاليد والمبادئ
وغيره من مقومات حضارات مصر والعراق وسوريا ، اطلاقهم جميعا بصورة طبيعية
الطرد الآخر ما يوسع دائرة تفكيرهم ويجعلهم على استعداد لاستشارة بعض النظم
ية الصادرة لبيثتوس المحلية . هذه الحقيقة تعتبر مظهرا من المظاهر الدولية في المجال
دي في ذلك الوقت المبكر من فجر العصر التاريخي . وقد ساعد على ذلك استمرار
سلالات التجارة بين هذه المجتمعات المختلفة سالفة الذكر .

ولم تقتصر الصلات التجارية بين مصر وبين سوريا على استيراد الخشب
إلى مصر بل هناك أيضا عدد من الأدلة الأثرية التي تثبت استيراد المصريين لمختلف
هوت والآواني المنطوية . وغيرها من المجتمعات السورية . وما يستلقت انتباه الدارس

هذه الأدلة الأثرية لم تكن في محيط الآثار الملكية فحسب بل استخدمها فعلا الأفراد
أدبيين مثل الطبقة الوسطى في المجتمع المصري وتقد شرقي مقابرهم على بحر، وهذه
ردات السورية .

ومن أهم المقابر التي عثر عليها على هذه الآثار مقبرة الملك (جر) في أبيدوس
لكل بحر مقابر الأسرة الأولى في سقارة وأبو روا شرقي القاهرة . ومن مميزات الأوانسي
خارية السورية التي عثر عليها ضمن الآثار المصرية أن بعضها يتميز بكونه ملوناً ويحصل
وما هندسية مثل الآنية الفخارية المقابلة (١).

وقد استمر هذا النشاط الاقتصادي منذ بداية عصور ما قبل
سرات وأثناء العصر التاريخي وبصفة خاصة أثناء الأسرة الأولى
مصرية وتعدر الإشارة هنا إلى أن هذه المرحلة في تاريخ مصر
رعوية هي في الحقيقة مرحلة تكوين وإنشاء المدينة المصرية
دما تكونت هذه المدينة في صورتها المصرية الكاملة بدأت تستمد
على أكتافها المحلية الصرعة وماتحتا - اليه من المجتمعات
فارجية ولكن بدرجة تقل عن فترة مرحلة التكوين .

وهناك ملاحظة مهمة وهي أن هذه العمليات التجارية بين مصر وسوريا لم تكن
درة من طرف واحد بل كانت متبادلة إلى حد كبير فقد عثر في بيلوس (جبيل) على شققة
بحرية تحمل اسم الملك خعسخوى Khesokhemwi هذا بجانب آثار أخرى
رية عثر عليها في كل من سوريا وفلسطين مما ثبت وجود اتصال بين الطرفين وبينما لسم
شر على آثار مصرية حتى الوقت الأخير في المزارع التدمر منتمة إلى المرحلة المسروغية
سم مصر حضارة جمدة نصر ومصر حضارة جزره الأخيرة وهي المرحلة التي ظهرت فيها
أرمينيو تامة في مصر خاصة في آثار وادي الحمامات بين قنا والقاهرة وقد زادت هذه
صالت التجارية بين مصر من ناحية وبين سوريا من ناحية أخرى في عصور الدولة
تديمة وسجل الملوك المصريين وخاصة سنفر على حبر بالرمو البعثات التي أرسلها إلى
وريا لطالب الخشب كما سجل الملك ساحور على حيدلان معبد الجنازي في أبو صير وهذه
رحلات إلى الإقليم السوري .

(١) آنية فخارية سورية عثر عليها في المقابر الملكية بأبيدوس حفائر الاستاذ Amelineau

وفي عهد الدولة الوسطى وخاصة الاسرة ١٢ زادت الصلات التجارية بين مصر سوريا . ويتجه بعض المؤرخين الى القول بأن النفوذ المصري السياسي في عهد الدولة الوسطى في فلسطين وجنوب سوريا بصفة خاصة كان قريبا لدورته يمكن القول بأن العلاقات السياسية المصرية السورية قد زادت في تلك الفترة وتهيأتا بطبيعة الحال لتوطيد الصلات اقتصادية . وقد عثر العلماء على عدد من المنتجات المصرية بل والتماثيل المصرية منتمة الى تلك الفترة في كل من كريت وفلسطين وسوريا مما يؤكد مظاهر هذا الاتصال المصري موريه واستمر هذا الاتصال في عصر الانتقال الثاني في عهد حكم اليكسوس ووصل الى قمته عهد الدولة المصرية الحديثة وخاصة في عهد الاسرة الثامنة عشر بعد أن تكونت مبراطورية المصرية الاولى في غرب آسيا وظل مصر المحرص الدولي في صورته الثامنة الاقتصادية سياسية والاجتماعية وانتقل عدد كبير من التجار السوريين الى الاتليم المصري كما انتقل ما عدد من الصناعات السورية والفلسطينيين الى مصر وظهرت هذه النهضة الدولية في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي وخاصة في عهد الاسرة ١٨ مما كان له أثره البالغ على وضائع السياسية والاجتماعية والدينية في تلك الحقبة من تاريخ مصر الفرعونية . وفي أثناء عصر المتأخر من تاريخ مصر الفرعونية ارتبطت مصر أيضا بسوريا ارتباطا كليا في شتى الحياة السياسية والاقتصادية ولا يمكن ان يتغفل المؤرخ أحد الامثلة الخالدة المصرية مثله في رحلة ون - آمون لاستيراد الخشب وصناعاتها السياسية والاقتصادي والذي ينبغي تسالف المصريين مع السوريين في بعض الفترات متاولين التخلص من النفوذ الاجنبي بولادة تضامنا منذ البداية ليس فقط في المجال الاقتصادي بل أيضا في المجال السياسي .

النشأة البشرية

ارتبطت سوريا منذ البداية بالتحركات البشرية المائلة التي مرت بمنطقة الشرق على القديم سواء كانت هذه التحركات السامية أو تركات الشعوب الهندية الأوروبية . حسب التزايد الزمني الدقيق بالنسبة لهذه التحركات الاولى ولكن يخلب أن تعزكسات حوب السامية قد وصلت الى الاتليم السوري في مراحل مبكرة ماقبل الاسرات في نفس تلك الذي انتقلت فيه الى ميزوبوتاميا وفلسطين وربما اليمن والحيشة . وقد اتجهت السدي ه الشعب التي خرجت من نجد على أساس أن نجد تمثل المركز الفرضي لأهم هذه حوب السامية في دلربتها الى الشمال الشرقي متجهة ن والفراف القديم هذه الشعبية امية هي التي كونت العناصر الاكادية والبابلية والآشورية فيما بعد وشرعت منها شعبية ي سارت بهذا نجر الفرات متجهة نجر الاقليم السوري وفي الشعبية المعروفة بالشعبية امورية كما اتجهت شعبة نجر الشمال الغربي وقطعت في فلسطين وجنوب سوريا وحسب

الشمعة الكنحانية وعلى ذلك يمكن القول أن العناصر الآرامية السامية الأصل، كونت جزءاً كبيراً من سكان الاقليم السوري في البداية ولذا أطلق على هذا الاقليم اسم بلاد ماهورنسبة اليها .

أما التسمية التي ذكرتها النصوص المصرية للاقليم الشمالي السوري فمضى كلمة رتنو أو غورو، أما الجزء السفلي من هذا الاقليم فقد أطلق عليه المصريون اسم جاجي .

وقد دخلت عناصر بشرية أخرى غير العناصر السامية وهي الحمورية والكنحانية والغيلقية، هذه العناصر تنتمي إلى عائلة الشعوب الهندية الأوروبية وهي العناصر الحمورية والعناصر السورية وكذا العناصر الحيثية . ولكن هذه التحركات الهندية الأوروبية لم تظهر بصورة واضحة في أثناء الألف الثالث بل ظهرت على نطاق واسع في أثناء الألف الثاني ق م . في منطقة الشرق الأدنى القديم متضمنة الاقليم السوري وبدأت هذه التحركات البشرية بتحركات الشعوب المعروفة باسم الهكسوس ثم انشاء دولة ميتاني ذات العناصر المصرية والسورية المكونة لجزء كبير من الاقليم السوري خاصة شماله الشرقي وكذلك العناصر الميتانية التي تمكنت من الاستقرار في شمال سوريا وخاصة في غترات نشر نفوذها السياسي في هذه المنطقة في عهد الدولة الحيثية الحديثة . وفي أثناء النصف الثاني من الألف الثاني ق م . اتصل المصريون بالاقليم السوري، اتصالاً سياسياً وحربياً واقتصادياً واجتماعياً وحضارياً بدراسة كبيرة مما أدى إلى انتقال عدد من المديرين إلى هذا الاقليم السوري . وقرب نهاية الألف الثاني ق م . استقرت بعض شعوب البحر المتوسط إلى العناصر الهندية الأوروبية على السواحل السورية والفلسطينية وعلى الرغم من أهمية هذه الشعوب الهندية الأوروبية ولعبها في الاستقرار في أجزاء من الاقليم السوري إلا أن استمرار التحركات السامية الآرامية الكنعانية والآشورية في المنطقة من السواحل السورية وأخيراً الآرامية قد أعطت صفة سامية إلى أجزاء كبيرة من هذا الاقليم السوري .

فقرّب نهاية الألف الثاني وأثناء الألف الأول، ظهرت التحركات الآرامية السامية الأصل في الاقليم السوري، وربما يمكن القول أن الأصل في تسمية هذه الشعوب بالشعوب الآرامية نسبة إلى أرض آرام الكائنة في شمال شرق سوريا وقد أطلق الآشوريون هذه التسمية عليهم ولو أنه يمكن الرجوع إلى عهد الملك الآكادي نارام سن (١) وما يجسدر

R.A. Fourn, "Archaic, Aramic, and the Bible, J.E.S., April, 1948, P.66 n.5.

بالذكر أنه يوجد بعض المؤرخين من يعتبر الآراميين عربا وذلك لان أسماء القبائل الآرامية أسماء عربية صرفة ، والحقيقة أن الحرب بدأوا في الاستقرار بالاقليم السوري ضمن العناصر السامية ولو أنه تحركاتهم الى هذا الاقليم قد زادت في الحصور التالية .

الناحية السياسية :

أول ظاهرة عامة في هذه الناحية هي عدم توصل سوريا الى تكوين دولة سياسية تتضمن حدودها الطبيعية تقف على قدميها بجانب دول الشرق الأدنى القديم مثل سومر وأكاد وبابل وآشور والدولة الحيثية ، وبطيعة الحال ، مصر الفرعونية . ولو أن دولة ميتاني تكون جزءا من شمال شرق سوريا إلا أنها كانت لها طبيعتها وظروفها السياسية الخاصة بها في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد . وليس معنى عدم وجود دولة سياسية موحدة في الاقليم السوري هو عدم وجود نظم سياسية على الاطلاق بل لقد كانت هناك عدة حكومات مدن ناجحة ، وكذلك كانت هناك عدة ممالك صغيرة ذات كيان سياسي وحضاري مرتبط — تبعا — بمجرى السياسة الدولية في منطقة الشرق الأدنى القديم . ومن أهم حكومات المدن السورية حكومات مدن أركاريت (رأس شمرا) والالاخ وحلب ودمشق وحمص وماري وفيردا من حكومات المدن السورية ، ومن أهم الممالك السورية التي تعتبر نموها طبيعيا لحكومات المدن مملكة الحمق *Hamog* بظروفها السياسية المختلفة ومملكة دمشق ومملكة ماري . وقد تناول المؤرخون تسجيل تاريخ حكومات المدن السورية ومعرفة انتاجها الحضاري وولاتها بالقوى السياسية المجاورة ولا تزال مجهودات المؤرخين في هذا الموضوع مجال البحث لان ذلك يعتمد اعتمادا كبيرا على نتائج السفائر الكثيرة التي تتطلبها الدراسات في هذا الاقليم السوري . ومن أهم المناطق التي قام العلماء بالحفر فيها وأمكن تسجيل تاريخها السياسي منطقة الحمق وخاصة في تل موشانة والالاخ وغيره من تلال المنطقة .

حاولت حكومات المدن في الاقليم السوري الوقوف على قدميها كمدن مستقلة مكونة ممالك محدودة ابتداء من أوائل الألف الثالث ق.م . وكذلك الألفين الثاني والأول ق.م . ولكن الظروف السياسية في منطقة الشرق الأدنى القديم سواء كانت في الحارة القديمة أو الأناضول أو مصر الفرعونية قد أثرت تأثيرا كبيرا في كيان حكومات المدن والممالك السورية . فكما تأثرت هذه المجتمعات السورية بالاضافة الى احتفاظها بشخصيتها المحلية كذلك تأثرت بالاضافة السياسية المتاخمة لها ولم تستطع هذه الممالك وحكومات المدن السورية الوقوف على قدميها بصورة مستقلة تماما إلا في فترات ضعف شأن الحكومات القائمة في الاقاليم المتاخمة لها .

ففى عصر عرجر الاسرات السومرية كانت هذمتا الحكومات السورية ذات كيان مستقل فى غالبية الاحيان ولكن عندما تمكن سرون الاكادى من تدعيم قوات الدولة الاكادية سرعان ما نشر نفوذه فى الاقليم السورى وبمذه الطريقة فقدت هذه المدن السورية استقلالها السياسى . وما يذكر أنه فى عهد الملك بوديا اتجه السومريون أيضا نحو استغلال الثغرات السورية لتوفير المواد الخشبية اللازمة للمعابد السومرية وكان السومريون والاكاد يسمون بفخريون بتوسعاتهم وينشر نفوذهم فى الاقليم السورى . وفى عهد الاسرة الثانية عشر المصرية زاد الاتصال المصرى بالاقليم السورى ، قد شرع على عدد كبير من الآثار المصرية خاصة فى منطقة أركاريت السورية ومن أهم هذه الآثار عدد من الجمارين المنتمية الى الملك سنوسرت الاول ، وسنوسرت الثانى ، وفى بداية الالف الثانى ق م . نجحت المملكة السورية المصروفة باسم ملكة يامحاد فى الظهور كمملكة مستقلة ذات كيان سياسى ونفارى خاص وهذه المملكة تقع شرق منطقة الحمق ، وماصتها حلب ومن أهم ملوكها الملك حامورابى السورى وهو غير حامورابى البابلى المصروف ، كما كانت هناك أيضا حكومة مدنية الاياخ التى تتحكم فى مدينة الحمق ، وما يستلزم الذكر أن آثار هذه الممالك فى الاقليم السورى فى ذلك الوقت تظهر البقية السابحة من تلال هذا الاقليم ومن أهم آثار هذه البقية اللوحات الطينية التى وجدت لأول مرة فى الاقليم السورى مكتوبة بالخط المسمارى ومن أهم هذه اللوحات لوحة من ماري عبارة عن تقرير مبدى الى الملك (زمرى لم) حاكم مدينة ماري السورية تقول هذه اللوحة أن هناك خمسة عشرة ملكا يميلون الى تأييد الملك حامورابى الملباب ، كما أن هناك عشرة أو خمسة عشرة ملكا آخرى يميلون الى تأييد ملك لارسا ومنهم ، كما يوجد أيضا عشرون ملكا يميلون الى يارليم ملك يامحاد (١) ، من ذلك يتبين مدى الانشقاق الموجود بين حكام حكومات المدن فى ذلك الوقت ويستمر هذا التفكير السياسى واضحا .

وفى صميم الالف الثانى ق م . يرتبط تاريخ سوريا ارتباطا كليا بعجريات الامور فى منطقة الشرق الأدنى القديم من كافة النواحي الاقتصادية والسياسية والحربية وخاصة فى النصف الثانى من الالف الثانى ق م . وقبل تتبع هذه الحقيقة تجدر الاشارة الى النصف الاول من الالف الثانى حيث سادت الدورات البابلية الاولى فى العراق القديم ووصل مدى نفوذها الى الاقليم السورى وسرعان ما انتهت هذه الدولة بعد تداخل العناصر الكاشية المحتمل انتماءها الى عائلة الشعوب الهندية الاوربية والمصاهرة لعدد من تركات هذه الشعوب مثل اليكسوس وقد مر اليكسوس فى طريقهم الى مصر بالاقليم السورى وفلسطين واختلطوا بالمناصر السامية

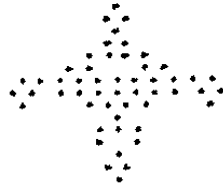
في حين ان الاقليمين الآخرين نجحوا لاحدا في تكوين ما يمكن تسميته بدولة المكموس تتضمن سوريا وفلسطين ومصر حتى أواسط الصعيد .

ولكن في النصف الثاني من الالف الثاني ق.م . ظهرت الاتجاات الدولية في تسيير مجرى الامور السياسية في منطقة الشرق الأدنى القديم ونشأت دولة ميتاني والدولة الحيثية الحديثة وبدأت الدولة الآشورية في التكوين ونجحت مصر في تكوين امبراطورية متوسعة الاولى وكانت سوريا هي مكان التقاء هذه القوى الدولية بينما حاول الآشوريون التوسيع نحو الغرب وقف في وجوههم كل من الحيثيين وميتاني وحاول الحيثيون من ناحية أخرى التوسيع نحو الجنوب ووقف في وجوههم المصريين الذين وصل نفوذهم حتى نهر الفرات فتمسكوا احدى عملياتهم البحرية في عصر تجوتمس الثالث (انظر الخريطة الموضحة لمدى ما وصل اليه النفوذ المصري في الاقليم السوري) . وكانت سوريا مجال تنافس بين هذه القوى الدولية المختلفة ويظهر ذلك أيضا في عصر تنسل الممارلة من النواحي السياسية والدينية وتغلغل النفوذ الحيثي في الشمال بعد انتباء دولة ميتاني وبعد توتيع معاهدة التحالف والصداقة بين المصريين والحيثيين ورضاء الحيثيين بنفوذهم في الشمال واحتفاظ المصريين بالسيادة الجنوبية ، ولكن هذه المظاهر السياسية قد تغيرت بتغيرات شحوب الهندية اوروبية جديدة على شعوب البحر الابيض المتوسط على سواحل البحر الابيض الشرقية ونجحت في انهاء النفوذ لحيثي . وما نادت سوريا تسلم من الحيثيين والميتانيين حتى بدأت القوة الآشورية تسمى لظهور أثناء الالف الاول ق.م . وكانت سوريا من المناطق اليامة الداخلة في نطاق الامبراطورية الآشورية والامبراطورية البابلية الكلدانية . وقد حاولت حكومات المدن السورية لدخول في حلف مع مصر وليبيا وغيرها ضد النفوذ البابلي الكلداني ولكن هذه الاحلاف لدفاعية السورية والمصرية لم تكن من القوة الكافية للوقوف أمام القوى الميزوبوتامية فسرعان ما انتهت الدولة البابلية الكلدانية ودخل الشرق الأدنى القديم متضمنا سوريا تحت النفوذ لقارسى الاخميني ثم اليوناني والروماني الى أن تكون الحرب من است اداة نفوذهم الاصمىل ن المنطقة . ولا بد من الاشارة الى المكانة السياسية التي نجح الفينيقيون في اقامتها في أثناء غربي البحر الابيض المتوسط ، وأيضا الى توصلهم الى مرحلة متقدمة في تطور الكتابة في مرحلة الحروف الابجدية ولكن لا بد من الاشارة هنا الى محدود المصريين في المرحلة المذكورة باسم ما قبل السينائية قبل الفينيقية الابجدية .

المظهر الدولي

هذا المظهر الدولي كما سبقنا الإشارة اليه يظهر واضحاً منذ بداية عصر ما قبل الاسرات وأثناء العصر التاريخي في مجال الصلات الاقتصادية والصلات السياسية التي ربطت سوريا بالتدورات المختلفة التي ظهرت في منطقة الشرق الأدنى القديم، وقد سبقنا الإشارة الى بعضها في الكلام عن الناحيتين السياسية والاقتصادية ويجدر القول اننا انما الى ناحية أخرى لها طبيعتها الدولية هذه الناحية هي الناحية اللغوية فبينما تمكنت مدينة اوكلريت من عمل كتابة خاصة بها نابعة من الخط المسماري الا انه في أثناء الالف الاول ق.م. ظهرت لغة وكتابة جديدة هي اللغة الآرامية اتخذت كلغة دولية في كائنة مناطق الشرق الأدنى القديم أثناء الالف الاول ق.م. وهذه الحقيقة لها أهميتها البالغة لانها تضيف صفة دولية للأقاليم السورية في الناحية اللغوية بجانب النواحي السياسية والاقتصادية.

من ذلك كله يتبين أن سوريا جزء لا يتجزأ من وحدة مرتبطة تمام الارتباط هي المنطقة التي كانت منذ البداية قبل العصر التاريخي وأثناءه على مختلف العصور والأزمنة حتى الوقت الحاضر حيث رجعت الأمور الى أصولها بتتبع الوعدة العربية في صورتها الحقيقية في جميع أرجاء العربية المتحدة.



من ذلك كله يتبين أن منطقة الشرق الأدنى القديم قد قدمت عدداً من العناصر الحضارية القيمة للإنسانية في مراحل تطورها التاريخية والحضارية منذ المثلثة المئانية الأولى (الصر الحجري الحديث) حتى نهاية الامبراطورية الفارسية الاخمينية ، وذلك في كافة نواحي المجال المادى والمعنوى . ومن أهم هذه العناصر الحضارية التى قدمها الشرق الأدنى القديم قبل العالم الكلاسيكى بعدة قرون مبادئ الديمقراطية البدائية السومرية واللغة المصرية المكتوبة بالخط الهيروغليفى واللغات السومرية والاكاديenne بالخط المسمارى بل، التوصل الى مرحلة الكتابة الممهدة للحروف الابجدية وهى الكتابة المعروفة باسم ما قبل السينائية وبالتالى الكتابة الابجدية الفينيقية ثم اليونانية .

هذا بالإضافة الى الانتا الادبى والدينى والفلسفى الرائع فى كافة آثار مصر والعراق وايران والافاضول والاقليم السورى وفلسطين وقد وصل مدى التطور العقيدى الى قيمته فى التوصل الى قيم عالية كـ :الوحدانية فى مصر الفرعونية فى عصر اخناتون والى الوحدانية الكاملة فى الديانة اليهودية فالمسيحية والاسلام .

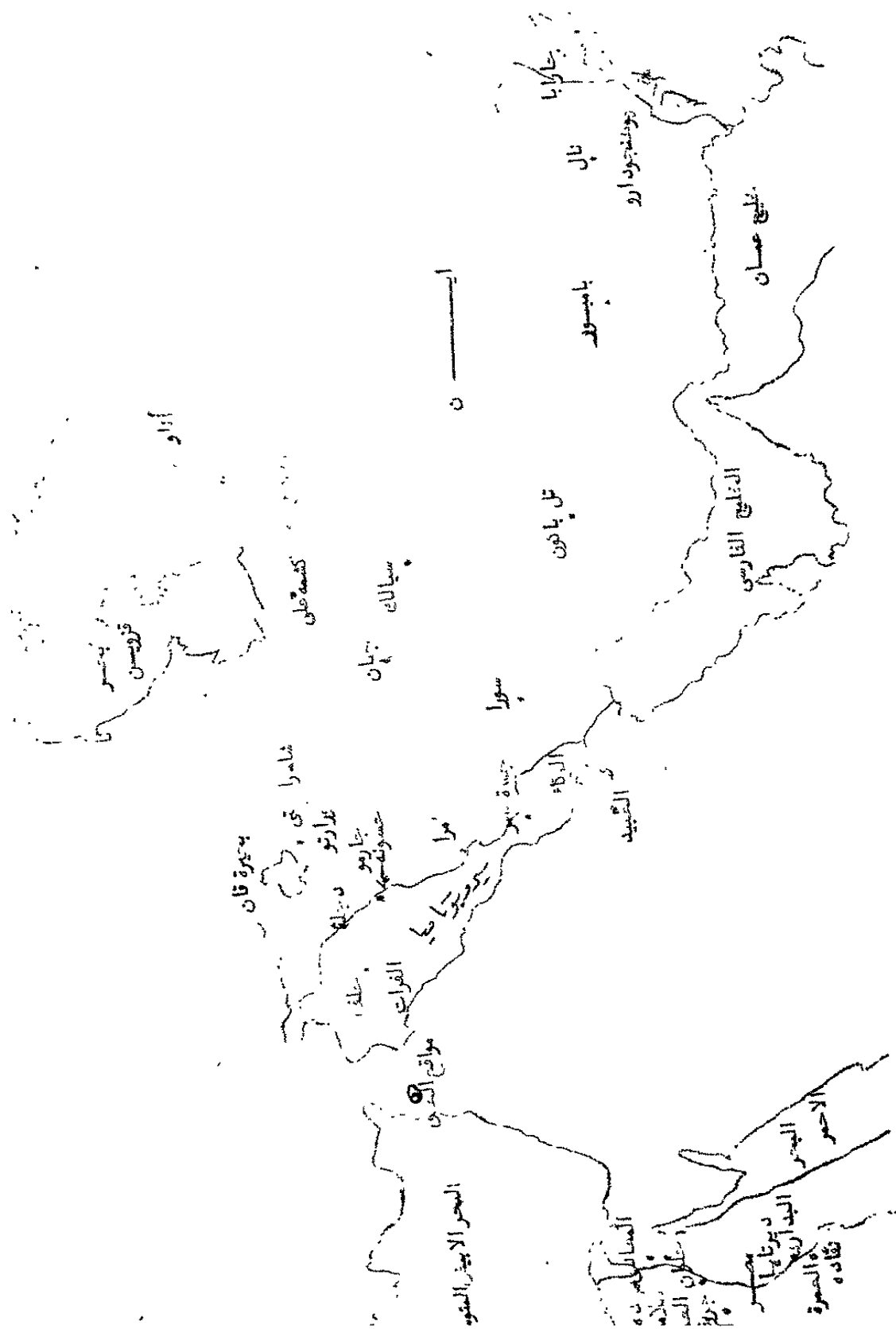
هذا بالإضافة الى التطورات (١) العلمية الكبيرة التى قدمتها دول هذه المنطقة فى كافة العلوم الطبيعية والرياضية والابتناعية والانسانية وحناك أيضاً الانتاج المادى فى كافة مظاهره المعمارية والنحت والرسم والتصوير بجانب الفنون الصخرى المختلفة مما يؤكد مدى التقدم فى امكانيات المواد الطبيعية المختلفة واستحداثها فى التعبير عن مبادئهم وقيمهم وناسبتهم مما يجعل تراث هذه المنطقة خالداً فى سجل حضارة الانسان .

(١) R. Turner, The Great Cultural Traditions, vol: I, New York and London, 1941, P. 257 ff.

جدول تقويم علم فلكون الحضارات العصر الحجري الحديث وعصر استخدام النحاس والحجر

وعصر ما قبل وقيل الاسرات في بعض مناطق الشرق الادنى القديم

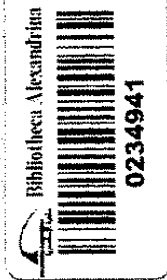
الزمن	اسم العصر الحضاري	مصر السفلى	مصر العليا	ميترىوتاميا جنوب	شمال ميترىوتاميا	الاقليم السوري	ايران
حوالى ٥٠٠٠ ق م	العصر الحجري الحديث	عصر حضارة الفيوم (١) عصر حضارة مريدة بنى سارم			عصر حضارة جارسو	عصر حضارة العمق أ	عصر حضارة سيالك I
		عصر حضارة حلوان العمرى ديراتسا	عصر حضارة	عصر حضارة	عصر حضارة تلى حسونه		عصر حضارة باكون ب I
					عصر حضارة	عصر حضارة العمق ب	
حوالى ٥٠٠٠ ق م	عصر استخدام الحجر والتحاس	عصر حضارة الفيوم (ب) البدارى	عصر حضارة		عصر حضارة	عصر حضارة العمق ج	عصر حضارة سيالك II
حوالى ٤١٠٠ ق م					عصر حضارة حلق		عصر حضارة باكون ب II
حوالى ٤٠٠٠ ق م	عصر ما قبل الاسرات الاولى	عصر حضارة جزيرة الاولى	عصر حضارة العمرة	عصر حضارة	عصر حضارة الحيد الجنبية المبيد الشمالية	عصر حضارة العمق د	عصر حضارة سيالك
حوالى ٣٦٠٠ ق م	عصر ما قبل الاسرات الاوسط	عصر حضارة جزيرة الاوسط	عصر حضارة	عصر حضارة	عصر حضارة	عصر حضارة العمق هـ	عصر حضارة باكون ا I
حوالى ٣٤٠٠ ق م	عصر ما قبل الاسرات الاخرى	عصر حضارة جزيرة الاوسط	عصر حضارة	عصر حضارة	عصر حضارة		
حوالى ٣٠٠٠ ق م	عصر ما قبل الاسرات الاخرى	عصر حضارة جزيرة الاوسط	عصر حضارة	عصر حضارة	عصر حضارة	عصر حضارة العمق و	عصر حضارة
حوالى ٣٠٠٠ ق م	عصر ما قبل الاسرات الاخرى	عصر حضارة جزيرة الاوسط	عصر حضارة	عصر حضارة	عصر حضارة	عصر حضارة العمق ز	عصر حضارة



طبع

بالمكتب المصري الحديث
للطباعة والنشر

طبع - نسخ - تعليم
٧ شارع نوبار (المنشية)
وشارع صفيه زغلول (أمام سينما مترو)
تليفون ٢٦٦٠٢



To: www.al-mostafa.com